١ ــ (ت٢٤١) (ذكر مولد الإمام أحمد وأصله، ونسبه، ومنشئه في صباه)

قال صالح بن أحمد ابن حنبل: ولد أبي سنة أربع وستين ومئة، في ربيع الأول، وجيء به من مَرو حملاً.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: ولدتُ في ربيع الأول سنة أربع وستين ومئة.

وقال أحمد ابن حنبل: قدمت بي أمي حاملاً من خراسان.

وقالت أمُّه: مات أبوه وله ثلاثون سنة، وأحمد طفل.

وقال أحمد بن حنبل أيضاً: قدم أبي من خراسان وأنا حمل، وولدت هاهنا، ولم أر أبي ولا جَدِّي.

وقال محمد بن حاتم: أحمدُ ابن حنبل أصله من مرو، وحمل من مرو وأمه حامل به، وجدُّه حنبل بن هلال وَلِيَ سَرَخْسَ وكان من أبناء الدعوة.

أما نسبه:

فقال عبد الله بن أحمد: هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيَّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثعلبة بن عُكَابَةَ بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن دُعْمِيٍّ بن جَدِيْلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان بن أُدّ بن أُدَد بن الهَمَيْسع بن حمل بن النَّبْت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

وقال عمه حنبل: هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيَّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة بن عُكَابَةَ بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن

دُعْمِيٍّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان بن أُدّ بن أُدَد بن الهَمَيْسع بن مليح بن النَّبْت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

وقال ابن بَطَّة: كانت أم أحمد شيبانية، واسمها: صفيَّة بنت ميمونة بنت عبد الملك الشيباني من بني عامر، كان أبوه نزل بهم وتزوج بها، وكان جدها عبد الملك بن سوادة بن هند الشَّيْبَاني من وجوه بني شيبان، وكان ينزل عليها قبائل العرب فتضيفهم.

وأما منشؤه في صباه:

فولد ببغداد، وبها نشأ، وطلب العلم والحديث من شيوخها، ثم رحل بعد ذلك في طلب العلم إلى البلاد.

وقال أبو عفيف: كان أحمد ابن حنبل في الكُتَّاب معنا وهو غُلَيْم يُعرَفُ فضلُه، وكان الخليفة بالرقة؛ فيكتب الناس إلى منازلهم، فيبعث نساؤهم إلى المعلم: ابعث إلينا أحمد ابن حنبل، ليكتب لهم جواب كتبهم، فيبعثه، فكان يجيء إليهم مطأطىء الرأس، فيكتب جواب كتبهم، فربما أملوا عليه الشيء من المنكر فلا يكتبه.

وقال أحمد: كنت وأنا غُلَيْم أختلف إلى الكُتَّاب، ثم اختلفت إلى الدِّيوان وأنا ابن أربع عشرة سنة.

وقال ابن المنبه: أول شيء عرف من أحمد ابن حنبل أن عمه كتب جواب كتاب بعث به السلطان؛ فدفعه إلى أحمد ابن حنبل يدفعه إلى الرسول، فلم يدفعه أحمد إليه، ووضعه في طاق منزلهم، وطلب الرسولُ الجوابَ، فقال عمه: قد وجهت به إليك، ثم قال لأحمد: أين الكتاب الذي أمرتك أن تدفعه إلى الرسول الذي على الباب؟ فقال له: كان عليه قَباء، وهو ذا الكتاب في الطاق.

وقال داود بن بسطام: أبطأت عليَّ أخبار بغداد، فوجهت إلى عم أحمد ابن حنبل: لم تصل إلينا الأخبار اليوم! وكنتُ أريد أن أحررها، وأوصلها إلى الخليفة، فقال لي: قد بعثتُ بها مع أحمد ابن أخي! قال: فبعث عمه فأحضر أبا عبد الله أحمد وهو غلام، فقال: أليس قد بعثت معك الأخبار؟ قال: نعم، قال: فلأي

شيءٍ لم توصلها؟ فقال: أنا كنت أرفع تلك الأخبار؟ رميتُ بها في الماء! قال ابن بسطام: فجعلت أسترجع، وأقول: هذا غلامٌ يتورَّع، فكيف نحن!.

وقال بعض من يطلب الحديث مع أحمد: ما زال أبو عبد الله بائناً من أصحابه، ولقد فقدته يوماً عند إسماعيل ابن عُلَيَّة، فدخل وهو أقل من ثلاثين سنة؛ فما بقي في البيت أحد إلاَّ وسَّعَ له وقال: ها هنا ها هنا.

obeikandl.com

(ذكر ابتدائه في طلب العلم، ورحلته فيه، ومن لقي من كبار العلماء وروى عنهم، وأدبِه مع مشايخه احتراماً للعلم، وإقبالِهِ على العلم، واشتغالِه به)

ابتدأ رحمه الله في طلب العلم من شيوخ بغداد، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة، ومكة والمدينة، واليمن والشام والجزيرة، وكتب عن علماء كلِّ بلد.

قال أحمد: أوَّل من كتبت عنه الحديث: أبو يوسف.

وقال أيضاً: طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة، ومات هُشَيْمٌ وأنا ابن عشرين سنة، وأوَّل سماعي من هشيم سنة تسع وسبعين ومئة.

وقال أيضاً: كان ابن المبارك قدم في هذه السنة ـ وهي آخر قدمة قدمها ـ وذهبتُ إلى مجلسه فقالوا: قد خرج إلى طرسوس، وتوفي سنة إحدى وثمانين. وكتبت عن هشيم سنة تسع وسبعين، ولزمناه سنة ثمانين وإحدى وثمانين وثنتين وثلاث وثمانين، ومات فيها أي ثلاث وثمانين. كتبنا عنه كتاب الحج نحواًمن ألف حديث، وبعض التفسير، وكتاب القضاء، وكتباً صغاراً ـ قال صالح: قلت: تكون ثلاثة آلاف؟ قال: أكثر. وجاءنا موت حمَّاد بن زيد ونحن على باب هشيم يملي علينا الجنائز، فقالوا: مات حماد بن زيد. وسمعت من عبد المؤمن بن عبد الله بن خالد بن الحسن العبسي سنة اثنتين وثمانين قبل موت هشيم. وحدَّثنا علي بن مجاهد الكابلي في سنة اثنتين وثمانين، من أهل الرَّي، أبو مجاهد، وهي أول سنة سافرت فيها. وقدم عيسى بن يونس الكوفة بعدي بأيام وأول خرجة خرجت إلى البصرة سنة ست وثمانين. وخرجت إلى سفيان بن عيينة سنة سبع وثمانين، قَدِمْنَا وقد مات فضيل بن عياض، وهي أوَّل سنة حججت. وكتبت عن إبراهيم بن سعد، وصَلَّيت خلفه غير مرة، وكان يسلم واحدة. ولو كانت عندي خمسون درهماً كنت قد خرجت إلى الرَّي إلى جرير بن عبد الحميد، فخرج بعض أصحابنا ولم يمكني الخروج.

قال: وخرجت إلى الكوفة فكنت في بيت تحت رأسي لبنة، فحممت، فرجعت إلى أمي ولم أكن استأذنتها. ودخلت عَبَّادان سنة ست وثمانين في العشر الأواخر، وكنت رحلت إلى المعتمر في تلك السنة، وكان بها رجل يتكلم قلت له: هَدَّاب؟ قال: نعم، فكان بها أبو الربيع وكتبت عنه.

وقال أيضاً: كنت ربَّما بكَّرت إلى مجلس أبي بكر بن عَيَّاش فتأخذ أمي ثيابي، وتقول: حتى يؤذن الناس، أو حتى يصبحوا.

وقال: خرجت إلى واسط فسأل يحيى بن سعيد عني فقالوا: خرج إلى واسط، فقال: أي شيء يصنع بواسط؟ قالوا: مقيم على يزيد بن هارون، وقال: أي شيء يصنع بيزيد بن هارون؟ هو أعلم منه!.

وقال عبد الله: خرج أبي إلى طرسوس ماشياً على قدميه.

وقال ابن منيع: سمعت جدي يقول: مر أحمد ابن حنبل جائياً من الكوفة، وبيده خريطة فيها كتب، فقلت: مرة إلى الكوفة ومرة إلى البصرة؟ إلى متى؟ إذا كتَبَ الرَّجُلُ ثلاثين ألف حديث لم يكفه؟ فسكت، ثم قلت: ستين ألف حديث؟ فسكت، فقلت: مئة ألف حديث؟ فقال: حينئذ يَعْرف شيئاً. قال أحمد بن منيع: فنظرنا فإذا أحمد قد كتب ثلاث مئة ألف عن بهز بن أسد وعفَّان وأظنه قال: وروح بن عبادة.

وقال صالح بن أحمد: عزم أبي على الخروج إلى مكة يقضي حجة الإسلام، ورافق يحيى بن معين، وقال له: نمضي إن شاء الله فنقضي حجنا، ثم نمضي إلى عبد الرزاق إلى صنعاء فنسمع منه. قال أبي: فدخلنا مكة، وقمنا نطوف طواف الورود؛ فإذا عبد الرزاق في الطواف يطوف، فقام يحيى بن معين فسلَّم على عبد الرزاق، وقال: هذا أحمد بن حنبل أخوك، فقال: حَيَّاه الله وثبَّته فإنه يبلغني عنه كل جميل. قال: يجيء إليك غداً إن شاء الله حتى يسمع ويكتب. قال: وقام عبد الرزاق فانصرف، فقال أبي ليحيى بن معين: لِمَ أخذتَ على الشيخ موعداً؟ قال: لتسمع منه، قد أربحك الله مسيرة شهر ورجوع شهر والنفقة، فقال أبي: ما كان الله

يراني وقد نويت نية لي، أُفسدُها بما تقول، نمضي، إنما نقول: غضي فنسمع منه، فمضى حتى سمع منه بصنعاء.

وقال أحمد بن سنان: قدم علينا أحمد بن حنبل مع جماعة من البغداديين إلى يزيد بن هارون واستقرضوني كلهم وردوا إلا أحمد بن حنبل لم يستقرضني، وأعطاني فروة له فبعتها بسبعة دراهم.

وقال صالح بن أحمد: رأى رجل مع أبي محبرة فقال: يا أبا عبد الله: أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين، فقال: «مع المحبرة إلى المقبرة».

وقال أحمد: أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر.

وقال محمد بن إسماعيل الصائغ: كنت أصوغ مع أبي ببغداد فمرّ بنا أحمد بن حنبل وهو يعدو ونعلاه في يده، فأخذ أبي هكذا بمجامع ثوبه، فقال: يا أبا عبد الله أما تستحي! إلى متى تعدو مع الصبيان؟ قال: إلى الموت.

وقال أبو بكر بن سماعة ـ من أهل مكة: نزل أحمد بن حنبل علينا في دارنا وأنا غلام، فقالت لي أمّي: اخدم هذا الرجل والْزَمه فإنَّه رجل صالح، فكنت أخدمه، وكان يخرج لطلب الحديث، فسُرِقَ متاعُه وقماشُه، فجاء فقالت له أمي: دخل عليك السُّراق فسرقوا قماشك، قال: ما فعلت الألواح؟ فقالت له أمي: في الطاق. وما سأل عن شيء غيرها.

أما من لقي من كبار العلماء وروى عنهم:

فأمَّا الذين روى عنهم، وكتب عنهم فهم كثير، وقد ذكرهم ابن الجوزي، وبلغ ذكرهم نيِّفاً وثلاثين وأربع مئة نفس، وأمّا من رآهم ولم يكتب عنهم فجملةٌ أيضاً، أضربنا عن سرد أسمائهم هنا خوف الإطالة، واكتفينا بالإحالة على الكتاب المذكور.

وأما أدبه مع مشايخه احتراماً للعلم:

فقال عمرو الناقد: كنا عند وكيع، وجاء أحمد بن حنبل فقعد، وجعل يَصِف من تواضعه بين يديه. قال عمرو: فقلتُ: يا أبا عبد الله إنَّ الشيخ يكرمك فما لك لا تتكلم؟ قال: فإنْ كان يكرمني فينبغي أن أُجِلَّهُ.

وقال مهنّأ بن يحيى الشَّامي: رأيت أحمد بن حنبل قُدَّام سفيان وقُدَّام عبد الرزاق، فقلت: تراهم يَدْرُون مَنْ عندهم ـ أي من فضله ـ؟.

وقال قتيبة بن سعيد: قدمت بغدادَ وما كان لي همَّة إلاَّ أن ألقى أحمد بن حنبل، فإذا هو قد جاءني مع يحيى بن معين، فتذاكرنا، فقام أحمد بن حنبل وجلس بين يديَّ وقال: أَمْلِ عليَّ هذا، ثم تذاكرنا فقام أيضاً وجلس بين يدي، فقلت: يا أبا عبد الله اجلس مكانَك. فقال: إنما أريد أن آخذ العلمَ على وجهه.

وقال خلف: جاءني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة، فاجتهدت أن أرفعه، فأبى وقال: لا أجلس إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه.

وأمَّا إقباله على العلم واشتغاله به:

فكان رحمه الله شديد الإقبال على طلب العلم، سافر في طلبه السَّفر البعيد، ووفَّر على تحصيله الزَّمان الطويل، ولم يتشاغل بكسب ولا نكاح حتى بلغ منه ما أراد.

قال رحمه الله: ما تزوجت إلا بعد الأربعين. وقال أيضاً: نحن كتبنا الحديث من ستة وجوه، من سبعة وجوه، ولم نضبطه؛ كيف يضبطه من كَتَبَه من وجه واحد؟.

(ذكر حفظه، وقدْرِ ما كان يحفظ، وثناء مشايخه عليه، وغزارة علمه وقوة فهمه وفقهه)

قال أبو زُرْعة: كان يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

وقال أبو عبد الله: جاء إنسان إلى باب ابن عُلَيَّة معه كُتُب هشام؛ فجعل يلقيها عليَّ وأنا أقول: هذا إسناده كذا، فجاء المُعَيْطي وكان يحفظ فقلت له: أجِبْهُ فيها، فَبَقِي. قال أبو عبد الله: وأعرف من حديثه ما لم أسمع.

وقال أيضاً: حفظت كلَّ شيء سمعته من هُشيم، وهشيم حيٌّ قبل موته.

وقيل لأبي زرعة: أنت أحفظ أم أحمد بن حنبل؟ قال: بل أحمد بن حنبل. قيل: كيف علمت بذلك؟ قال: وجدت كتب أحمد ليس في أوائل الأجزاء ترجمة أسماء المحدثين الذين سمع منهم، فكان يحفظ كلَّ جزء ممن سمعه، وأنا لا أقدر على هذا. وقال أبو زرعة أيضاً وقد سئل: من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ؟ فقال: أحمد بن حنبل. حُزِرت كتبه اليوم الذي مات فيه فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً، ما كان على ظهر كتاب منها (حديث فلان)، ولا في بطنه (حدثنا فلان) وكل ذلك يحفظه عن ظهر قلبه.

وقال أبو زرعة أيضاً: أتيت أحمد بن حنبل فقلت له: أخرج إليَّ حديثَ سفْيان، فأخرج إليَّ أجزاء كلها: سفيان سفيان. . . . ليس على حديث منها «حدَّثنا فلان»، فظننت أنها عن رجل واحد، فجعلت أنتخب، فلما قرأ عليَّ جعل يقول في الأحاديث حدثنا وكيع ويحيى، حدثنا فلان، فعجبت من ذلك، فجهدت في عمري أن أقدر على شيء من هذا فلم أقدر.

وقال أبو عبد الله: كنت أذاكر وكيعاً بحديث الثوري، فكان إذ صلَّى العشاء

الآخرة خرج من المسجد إلى منزله، وكنت أُذَاكرُه فربما ذكر تسعة أحاديث أو العشرة فأحفظها، فإذا دخل قال لي أصحاب الحديث: أمْلِ علينا. فأمليها عليهم فيكتبونها.

وقال قتيبة بن سعيد: كان وكيع إذا صلى العتمة ينصرف معه أحمد بن حنبل، فيقف على الباب فيذاكره وكيع، فأخذ ليلة بعضادتي الباب، ثم قال: يا أبا عبد الله، أريد أن ألقي عليك حديث سفيان. قال: هات. فقال: تحفظ عن سفيان، عن سلمة بن كُهَيل كذا وكذا؟ فيقول أحمد: نعم، حدثنا يحيى، فيقول: سلمة كذا وكذا؟ فيقول: حدثنا عبد الرحمٰن، فيقول: سفيان عن سلمة كذا وكذا؟ فيقول: أنت حدثتنا. حتى يفرغ من سلمة، ثم يقول أحمد: وتحفظ عن سلمة كذا وكذا؟ فيقول وكيع: لا. ولا يزال يلقي عليه، ويقول وكيع: لا. ثم يأخذ في حديث شيخ شيخ، فلم يزل قائماً، حتى جاءت الجارية فقالت: قد طلع الكوكب.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال لي أبي: خذ أي كتاب شئتَ من كتب وكيع من المصنف، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإسناد حتى أخبرك بالكلام.

أما ثناء مشايخه عليه:

فاعلم أن مخايل الإنسان تلوح وتبين في صباه وبدوّ أمره ومنتهاه، وكانت مخايل العلم والتقى تظهر على أحمد في بدايته؛ ولذلك أثنى عليه مشايخه وقدموه.

قال أبو العباس النسائي: كان أحمد بن حنبل إذ جاء إلى المحدث استأذن لأصحاب الحديث حتى يسمعوا بسببه.

فمن مشايخه:

يزيد بن هارون:

كان يزيد يصلي فجاء إليه أحمد بن حنبل، فلما سلم من الصلاة التفت إلى أحمد فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في العارية؟ قال مؤداة، فقال له يزيد: أخبرنا حجاج عن الحكم قال: ليست مضمونة. فقال أحمد: قد استعار النبيُّ ﷺ من

صفوان بن أمية أدراعاً، فقال له: عارية مؤداة؟ فقال له النبي ﷺ: «العارية مؤداة». فسكت يزيد وصار إلى قول أحمد.

وقال خلف بن سالم: كنا في مجلس يزيد بن هارون، فخرج يزيد مع مستمليه، فتنحنح أحمد بن حنبل، فضرب يزيد بيده على جبينه وقال: ألا أعلمتموني أن أحمد ها هنا حتى لا أمزح.

وقال أحمد بن سنان: ما رأيت يزيد بن هارون لأحد أشد تعظيماً منه لأحمد بن حنبل، ولا رأيته أكرم أحداً إكرامه له، وكان يقعده إلى جانبه إذا حدثنا، وكان يوقره، ولا يمازحه، ومرض أحمد فركب إليه يزيد بن هارون وعاده.

ومنهم: إسماعيل ابن عُلَيَّة:

فقد كان إسماعيل إذا أقيمت الصلاة قال: هنا هنا أحمد بن حنبل، قولوا له يتقدم.

وتكلم إنسان في مجلسه يوماً، فضحك إنسان، وأحمد حاضر في المجلس، فغضب إسماعيل وقال: تضحكون وعندي أحمد بن حنبل.

ومنهم عبد الرزاق بن همام:

قال عبد الرزاق: ما رأيت أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل.

وقال أيضاً: ما قدم علينا أحد كان يشبه أحمد بن حنبل. وقال أيضاً: ما قدم علينا مثله. وقال أيضاً: رحل إلينا أربعة من رؤساء الحديث؛ الشاذكوني وكان أحفظهم للحديث، وابن المديني وكان أعرفهم باختلافه، ويحيى بن معين وكان أعلمهم بالرجال، وأحمد بن حنبل وكان أجمعهم لذلك كله.

وقال أيضاً: كَتَب علي ثلاثة لا أبالي أن لا يكتب علي غيرهم: ابن الشاذَكوني من أحفظ الناس، ويحيى بن معين من أعرف الناس بالرجال، وأحمد بن حنبل من أزهد الناس.

وقال أيضاً: إن يعِشْ هذا الرجل يكن خلفاً من العلماء، يعني أحمد بن حنبل.

ومنهم: وكيع بن الجراح:

قال وكيع: ما قدم الكوفة مثل هذا الفتى، يعني أحمد بن حنبل. وسئل وكيع عن خارجة بن مصعب فقال: لست أحدث عنه؛ نهاني أحمد أن أحدث عنه.

ومنهم: حفص بن غياث النَّخْعي:

قال حفص: ما قدم الكوفة مثل ذلك الفتى، يعني أحمد بن حنبل.

ومنهم: أبو الوليد هشام بن عبد الملك الطَّيَالِسي:

جاء هشامَ الخبرُ بضرب أحمد بن حنبل، فقال: لو كان هذا في بني إسرائيل لكان أحدوثة.

وقال أيضاً: ما بالمصْرَين ـ يعني البصرة والكوفة ـ أحدٌ أحبَّ إليّ من أحمد بن حنبل، ولا أرفعَ قدراً في نفسي منه.

ومنهم: الحسين الجُعْفي:

قال حسين الجُعْفي وقد جاءه أحمد ومعه كتاب كان فيه شفاعة ليحدثه، فقال له: يا أحمد، لا تجعل فيما بيني وبينك منعماً، فليس يحمل عليّ أحد إلا وأنت أكبر منه.

ومنهم: عبد الرحمٰن بن مهدي:

قال ابن مهدي: أحمد بن حنبل أعلم الناس بحديث سفيان الثوري. وقال أيضاً: ما نظرت إلى أحمد إلا تذكرت به سفيان الثوري. وقال أيضاً: من أراد أن ينظر إلى ما بين كتفي سفيان الثوري فلينظر إلى أحمد بن حنبل. وقال أيضاً: كاد أن يكون أحمد بن حنبل إماماً في بطن أمه.

ومنهم: يحيى بن سعيد القطان:

قال يحيى: ما قدم علي مثل أحمد بن حنبل. وقال أيضاً: ما قدم علي مثل هذين الرجلين أحمد بن حنبل ويحيى بن معين.

obeikandl.com

وذكره الشَّاذَكوني، فقال يحيى: ويلك يا سليمان، أما تتقيّ الله؟! تذكر حبراً من أحبار هذه الأمة.

ومنهم: أبو عاصم النبيل:

حضر في مجلسه أصحاب الحديث فقال لهم: ألا تفقهون؟ وجعل يذمّهم، فقالوا: فينا رجل. فقال: من هو؟ فقالوا: الساعة يجيء، فلما جاء أحمد قالوا: قد جاء. فنظر إليه، فقال له: تقدم فقال له: أكره أن أتخطى الناس. فقال أبو عاصم: هذا من فقهه، وسِّعوا له. فوسعوا له، فدخل، وأجلسه بين يديه، فألقى عليه مسألة، فأجاب، فألقى أشدّ، فأجاب، وثالثة، فأجاب. ومسائل، فأجاب، فقال أبو عاصم: هذا من دواب البحر، ليس هذا من دواب البر. وقال له قبل أن يعرفه: يا أحمد، ما أنصفتنا؛ قدمت بلدنا فلم تعرفنا نفسك، وإني قد دليت عليك، فلو جئتنا لأكرمناك، وأريناك من حقك ما أنت له أهل. فقال: يا أبا عاصم. إنك لتفعل، وإنك لتحمل على هيبتك. قال أبو عاصم: فرأيت له حياءً وصدقاً ما أخلقه، سيبلغ ما بلغ رجل. وذكر عنده قوم من المحدثين، فتنفس وقال: هاه هاه، ما من هؤلاء واحد إلا وقد رأيناه، فما رأينا في القوم مثل ذلك الفتى أحمد بن حنبل.

ومنهم: أبو اليمان الحكم بن نافع:

قال أبو اليمان: كنت أشبه أحمد بن حنبل بأرطأة بن المنذر.

ومنهم: سليمان بن حرب:

قال سليمان: أحمد بن حنبل عندنا إمام.

ومنهم: عفان بن مسلم:

كان يحيى بن معين وأبو خيثمة **وغيرهم** يجيئون إليه يسمعون منه ومعهم أحمد، فلما خرجوا قال: هذا سوى أولئك، **يعني** من فضله.

ومنهم: الهيثم بن جميل:

قال الهيثم: إن عاش هذا الفتى يكون حجة على أهل زمانه. يعني أحمد بن حنبل.

وقال أيضاً: إن لكل زمان رجلاً يكون حجة على الخلق، وإن فضيل بن عياض حجة على أهل زمانه، وإن عاش أحمد سيكون حجة على أهل زمانه.

وحدث الهيثم يوماً عن هُشيم فوهم، فقيل له: خالفوك في هذا. فقال: من خالفني. قالوا: أحمد بن حنبل. قال: وددت أنه نقص من عمري فزاد في عمر أحمد؛ فإنه خليق أن ينتفع به المسلمون.

ومنهم: الفضل بن دُكَين أبو نُعيم:

عرض عليه يحيى بن معين أحاديث من حديثه أدخل فيها ما ليس من حديثه ليجربه، فنظر إلى أحمد وقال: هذا أورع من أن يفعل هذا، وليس هذا إلا من عمل يحيى، فرفسه برجله.

ومنهم: قتيبة بن سعيد:

قال قتيبة: خير زماننا ابن المبارك، ثم هذا الشاب. فقال له أبو بكر الرازي: من الشاب يا أبا رجاء؟ قال: ابن حنبل. قال: تقول شاب وهو شيخ أهل العراق؟ قال: لقيتُه وهو شاب.

وقال أيضاً: أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويَهْ إماما الدنيا.

وقال أيضاً: إذا رأيت الرجل يحبُّ أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة وجماعة.

وقال أيضاً: لو أدرك أحمد عصر الثوري ومالك والليث والأوزاعي لكان هو المقدم. فقيل: تضم أحمد إلى التابعين؟ قال: إلى كبار التابعين.

وقال أيضاً: لولا الثوري لمات الورع، ولولا أحمد بن حنبل لأحدثوا في الدين، يموت أحمد وتظهر البدع.

(ذكر من حدَّث عنه من مشايخه ومن الأكابر)

منهم: عبد الرزاق بن همام، وإسماعيل بن عُلَيَّة، ووكيع بن الجرّاح، وعبد الرحمن بن مهدي، ومحمد بن إدريس الشافعي، ومعروف الكَرْخي، وأسود بن عامر، والحسن بن موسى الأشيب، وداود بن عمرو الضَّبِّي ويحيى بن عبد الحميد الحمّاني، وخلف بن هشام، وقتيبة بن سعيد، وعلي بن المديني، والحارث بن شريح، ومحمد بن الحسين البُرْجُلاني، ومحمد بن يحيى بن أبي سمينة، وعبد الله بن عمر بن محمد بن أبان القرشي، ومحمد بن المصفى، وأحمد بن أبي الحواري، وأبو سعيد دُحَيم، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وغيرهم ممن سيأتي ذكرهم بعد ترجمة الإمام أحمد في الطبقة الأولى إن شاء الله تعالى.

وسيأتي أيضاً ذكر من حدّث عن أحمد على الإطلاق من الشيوخ والأصحاب هناك.

(ذكر ثناء نظرائه وأقرانه ومقارنيه في السن عليه)

منهم: محمد بن إدريس الشافعي:

قال الشافعي: خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أورع ولا أتقى ولاأفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل.

وقال أيضاً: ثلاثة من العلماء من عجائب الزمان؛ عربي لا يعرب كلمة وهو أبو ثور، وأعجمي لا يخطىء في كلمة وهو الحسن الزعفراني، وصغير كلما قال شيئاً صدَّقه الكبار وهو أحمد بن حنبل.

وقال أيضاً: ما خلفت بالعراق أحداً يشبه أحمد بن حنبل، وما رأيت رجلين أعقل من أحمد بن حنبل وسليمان بن داود الهاشمي.

عبد الله بن الزبير الحميدي:

قال الحميدي: ما دمت بالحجاز، وأحمد بالعراق، وإسحاق بخراسان لا يغلبنا أحد.

ابن أبي أويس:

قيل لابن أبي أويس ذهب أصحاب الحديث، فقال: ما أبقى الله أحمد ابن حنبل فلم يذهب أصحاب الحديث.

علي بن المديني:

قال ابن المديني: اتخذت أحمد بن حنبل إماماً بيني وبين الله، ومن يقوى على ما يقوى عليه أبو عبد الله.

وقال أيضاً: أحمد بن حنبل سيدنا.

وسئل أن يحدث فقال: إن سيدي أحمد بن حنبل أمرني أن لا أحدث إلا من كتاب.

وقال أيضاً: أحمد بن حنبل أفضل من سعيد بن جبير في زمانه؛ لأن له نظراء وإن أحمد ليس له نظير.

وقال أيضاً: ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبد الله، وبلغني أنه لا يحدث إلا من كتابه، ولنا فيه أسوة حسنة.

وقال أيضاً: لئن أسأل أحمد بن حنبل عن مسألة أحب إلي من أن أسأل أبا عاصم وعبد الله بن داود، ليس العلم بالسن.

وقال أيضاً: أبو عبد الله حجة الله على خلقه.

وقال أيضاً: أعز الله هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة.

وقال أيضاً: ما قام أحد بأمر الإسلام ما قام أحمد بن حنبل، يعني بعد رسول الله ﷺ. قيل له: ولا أبو بكر الصديق. قال: ولا أبو بكر الصديق؛ لأن أبا بكر الصديق كان له أعوان وأصحاب، وأحمد بن حنبل لم يكن له أعوان ولا أصحاب.

أبو عبيد القاسم بن سلاّم:

قال أبو عبيد: انتهى العلم إلى أربعة: أحمد بن حنبل وهو أفقههم، وابن أبي شيبة وهو أحفظهم له، وعلي بن المديني وهو أعلمهم به، ويحيى بن معين وهو أكتبهم له. وتناظر عنده رجلان فقال أحدهما: من قال بهذه المسألة؟ فقال الآخر: من ليس في شرق ولا غرب مثله. فقال: من هو؟ قال: أحمد بن حنبل. فقال: أبو عبيد ـ صدق ـ من ليس في شرق ولا غرب مثله، ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة منه.

وقال أيضاً: ما هبتُ أحداً من العلماء ما هبت أحمد بن حنبل.

يحيى بن معين:

قال يحيى: ما رأيت أحداً يحدث لله إلا ثلاثة: يعلى بن عبيد، والقعنبي، وأحمد بن حنبل.

وقال أيضاً: ثقات الناس أربعة: وكيع، ويعلى بن عبيد، والقعنبي، وأحمد بن حنبل.

وقال أيضاً: والله ما نقوى على ما يقوى عليه أحمد بن حنبل، ولا على طريقة أحمد بن حنبل.

وقال أيضاً: أراد الناس أن أكون مثل أحمد بن حنبل، لا والله ما أكون مثل أحمد بن حنبل أبداً.

أبو خيثمة زهير بن حرب:

قال أبو خيثمة زهير بن حرب: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل أشد قلباً منه أن يكون قام ذلك المقام. وترى ما يمر به من الضرب والقتل، وما قام أحد مثل ما قام، امتحن كذا سنة، وطلب فما ثبت أحد على ما ثبت عليه.

إسحاق بن راهويه:

قال إسحاق وقد ذكر أحمد: لا يُدرَك فضله.

وقال أيضاً: أحمد حجة بين الله وبين عبيده في الأرض، ولولا بذله نفسه لِما بذلها له لذهب الإسلام.

بشر الحافي:

قال بشر وقد سئل عن أحمد: أنا أُسأل عنه! إن أحمد بن حنبل قد أُدخل الكير فخرج ذهباً أحمر.

ولما ضرب أحمد قال بشر: إن هذا الرجل قام اليوم بأمر عجز عنه الخلق. وأرجو أن يكون ممن نفعه الله بالعلم.

وقال أيضاً: أحمد بن حنبل إمام من أئمة المسلمين.

وقيل له لما ضرب أحمد: لو أنك خرجت، وقلت: إني على قول أحمد. فقال بشر: تريدون أن أقوم مقام الأنبياء، إن أحمد قام مقام الأنبياء، حفظ الله أحمد بن

حنبل من بين يديه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله.

ذو النون المصري:

يسأل ذو النون المصري رجلاً عن أحمد بن حنبل: أيُّ شيء حال سيدنا! يعني أحمد بن حنبل.

أبو زرعة الرَّازي:

قال أبو زرعة: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل في فنون العلم، وما قام أحد مثل ما قام أحمد بن حنبل. وما رأيت مثله في العلم والزهد والفقه والمعرفة وكل خير، ما رأت عيناي مثله. وقال: لم أزل أسمع الناس يذكرون أحمد بن حنبل ويقدمونه على يحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأبي حنيفة، وما أعلم في أصحابنا أَسْوَد الرّأس أفقه من أحمد بن حنبل ولا أجمع منه. قيل له: إسحاق بن راهويه؟ فقال: أحمد بن حنبل أكبر منه، وقد رأيت الشيوخ، فما رأيت أحداً أكمل منه، اجتمع فيه زهد وفضل وفقه وأشياء كثيرة.

أبو حاتم محمد بن إدريس الرَّازي:

سئل أبو حاتم عن علي بن المديني، وأحمد بن حنبل أيهما كان أحفظ؟ فقال: كان في الحفظ متقاربين، وكان أحمد أفقه.

وقال أيضاً: إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة، وهو المحنة بيننا وبين أهل البدع.

أسعد بن يحيى المزني صاحب الشافعي:

قال المزني: أحمد بن حنبل يوم المحنة، وأبو بكر يوم الردة، وعمر يوم السقيفة، وعثمان يوم الدار، وعلي يوم صفين.

البُوَيْطي:

قال البويطي: إني لأرجو أن يجري الله أجر كلِّ ممتنع في هذه المسألة لسيدنا الذي ببغداد أحمد بن حنبل.

أبو ثور:

سئل أبو ثور عن مسألة فقال: قال أحمد بن حنبل شيخنا وإمامنا فيها كذا وكذا.

وقال أيضاً: أحمد بن حنبل أعلم وأفقه من الثوري، ولو أن رجلاً قال: إن أحمد بن حنبل من أهل الجنة ما عُنِّفَ على ذلك؛ وذلك أنه لو قصد رجل خراسان ونواحيها لقالوا: إن أحمد بن حنبل رجل صالح، وكذلك لو قصد الشام ونواحيها لقالوا: رجل صالح. وكذلك لو قصد العراق ونواحيها لقالوا: رجل صالح. فهذا إجماع، ولو عُنِّفَ هذا على قوله لبطل الإجماع. وكنت إذا رأيتَ أحمد بنَ حنبل خُيِّل إليك أن الشريعة لوح بين عينيه.

محمد بن يحيى الذهلي:

قال الذهلي: جعلت أحمد بن حنبل إماماً فيما بيني وبين الله تعالى، أحمد بن حنبل إمامنا رضي الله عنه.

سفيان بن وكيع:

قال سفيان: أحمد بن حنبل محنة، من عاب أحمد بن حنبل عندنا فهو فاسق.

أحمد بن صالح المصري:

قال: ما رأيتُ بالعراق مثلَ هذين الرجلين: أحمد بن حنبل ببغداد، ومحمد بن نمير بالكوفة، رجلين جامعين، لم يُرَ مثلهما بالعراق.

هلال بن العلاء الرَّقِّي:

قال هلال: منّ الله على هذه الأمة بأربعة: أبي عبيد فسَّر غريب حديث رسول الله ﷺ، والشافعي تفقه على حديث رسول الله ﷺ، ويحيى بن مَعين نفى الكذبَ عن حديث رسول الله ﷺ، وأحمد بن حنبل ثبت في المحنة، لولا أحمد لكفر الناس.

أحمد بن شعيب النسائي:

قال: لم يكن في عصر أحمد بن حنبل مثل هؤلاء الأربعة: علي بن المديني، ويحيى بن مَعين، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأعلمهم بالحديث وعلله علي بنُ المديني، وأعلمهم بالرجال وأكثرهم حديثاً يحيى بنُ مَعين، وأحفظهم للحديث والفقه إسحاق بن راهويه، إلا أن أحمد بنَ حنبل كان عندي أعلمُ بعلل الحديث من إسحاق، وجمع أحمد المعرفة بالحديث، والفقه، والورع، والزهد.

نصر بن علي:

قال نصر: كان أحمد بنُ حنبل أفضلَ أهل زمانه.

إسماعيل بن إبراهيم الهذلي القَطِيْعي أبو معمر:

قال أبو معمر: ما رأيت منذ خمسين سنة مثل أحمد بن حنبل، مذ كان غلاماً إنما كان يتزيد.

عمرو بن محمد الناقد:

قال عمرو: إذا وافقني أحمد بن حنبل على حديث فلا أبالي من يخالفني.

أحمد بن الحجاج:

قال أحمد بن الحجاج: لم ترَ عيني مثل أحمد بن حنبل قط، ولو كان في زمن ابن المبارك كنا نأثره عليه.

محمد بن مهران الجمَّال:

قال ابن مهران وذُكر عنده أحمد بن حنبل: ما بقي غيره، إني لأُدير قلبي نحو مكة والمدينة فيرجع إليه، وأُدِيرُهُ نحو البصرة والكوفة فيرجع إليه، وأُدِيرُهُ نحو الشام والجزيرة فيرجع إليه، وأُدِيرُهُ نحو خراسان فيرجع إليه.

محمد بن مسلم بن وَارَة القُومِسِي:

قال ابن وارة: أحمد بن صالح بمصر، وأحمد بن حنبل ببغداد، والنفيلي

بحرَّان، وابن نُمير بالكوفة، هؤلاء أركان الدين.

وسئل عن علي بن المديني ويحيى بن مَعين: أيهما كان أحفظ؟ قال: كان عليٌّ أسرَدَ وأتقن، ويحيى أفهمَ بصحيح الحديث وسقيمه، وأجمعهما أحمد بن حنبل، كان صاحبَ فقهٍ وحفظ ومعرفة.

أبو جعفر عبد الله بن محمد النُفَيلي:

قال النُّفيلي: كان أحمد بن حنبل من أعلام الدين.

محمد بن مصعب:

قال ابن مصعب: لَسوطٌ ضُرب أحمد ابن حنبل في الله أكبرُ من أيام بشر بن الحارث.

الحسن بن محمد بن الصباح:

كان الحسن إذا بلغه أن إنساناً ذكر أحمد بن حنبل جمع المشايخ وأتاه، وقد استعدى عليه.

وأما ثناء كبار أتباعه عليه مما عرفوه منه في صحبته فمنهم:

أبو داود السجستاني:

قال أبو داود: إذا رأيت الرجل يحبُّ أحمد بنَ حنبل فاعلم أنه صاحب سنة، ولقد لَقِيتُ مئتين من مشايخ العلم، فما رأيت مثل أحمد بن حنبل..

يعقوب بن سفيان:

قال يعقوب: كتبت عن ألف شيخ، حجتي فيما بيني وبين الله تعالى رجلان، أحمد بن صالح المصري، وأحمد بن حنبل.

محمد بن يحيى الأزدي البصري:

قال محمد بن يحيى: إنا نقول بقول أحمد بن حنبل، وإنه إمامنا، وهو فقيه

المؤمنين، ولا نخالفه، وقد رضينا به إماماً، فيه خلف من العلماء، ونبرأ ممن خالفه، فليس يخالفه إلا مجادل مبتدع.

أبو همام الوليد بن شجاع:

قال الوليد: ما رأيت مثلَ أحمد بن حنبل، ولا رأى أحمد مثل نفسه.

أبو عمير النحاس الرملي الفلسطيني:

قال أبو عمير النحاس وقد ذكر عنده أحمد بن حنبل؛ رحمه الله: عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، وبالصالحين ما كان أبصرَه، عرضت له الدنيا فأباها، والبدع فنفاها.

محمد بن إبراهيم البُوشَنْجِي:

قال البوشنجي: ما رأيت أجمع في كل شيء من أحمد بن حنبل، ولا أعقل، وهو عندي أفضل وأفقه من سفيان الثوري، لأنه لم يمتحن من الشدة والبلوى بمثل ما امتحن به أحمد بن حنبل، ولا عِلمُ سفيان ومن تقدم من علماء الأمصاء وفقهائهم كعلم أحمد بن حنبل؛ لأنه كان أجمعَ لها، وأبصر بمتقنيهم وغالطيهم وصدوقهم وكذوبهم منهم.

ولقد بلغني عن بشر بن الحارث أنه قال: أحمد بن حنبل قام مقام الأنبياء، وامتحن في السراء والضراء، وتداولته أربعة خلفاء، بعضهم بالضراء وبعضهم بالسراء، وكان فيها معتصماً بالله تعالى، تداوله المأمون، والمعتصم، والواثق، بعضهم بالضرب والحبس، وبعضهم بالإخافة والترهيب، فما كان في هذه الحال إلا سليمَ الدين غيرَ تارك له من أجل ضرب أو حبس، ثم امتحن أيام المتوكل بالتكريم والتعظيم، وبسطت الدنيا عليه فما ركن إليها، ولا انتقل عن حالته الأولى رغبة في الدنيا ولا رغبة في الذكر، فهذه الحالات لم يمتحن بمثلها سفيان، ولقد حكي لنا عن المتوكل أنه قال: إن أحمد ليمنعنا من بر ولده.

حجاج بن الشاعر:

قال حجاج: ما كنت أحب أن أقتل في سبيل الله ولم أصلِّ على أحمد بن حنبل، ولقد منّ الله على هذه الأمة بأحمد بن حنبل؛ ثبت في القرآن، ولولاه لهلك الناس.

وقال أيضاً: قبَّلتُ يوماً بين عيني أحمد بن حنبل، وقلت: يا أبا عبد الله، بلّغك الله مبلغ سفيان ومالك. ولم أظن في نفسي أني أبقيت غاية، فبلغ ـ والله ـ في الإمامة أكثر من مبلغهما، وما رأيت روحاً في جسد أفضل منه.

إبراهيم بن عرعرة:

قال إبراهيم بن عرعرة وقد ذكر عنده علي بن عاصم، فقال رجل: أحمد بن حنبل يضعّفه، فقال آخر: وما يضره من ذلك إذا كان ثقة؟ فقال ابن عرعرة: والله لو تكلم أحمد بن حنبل في علقمة والأسود لَضرَّهما.

إسماعيل بن خليل:

قال إسماعيل: لو كان أحمد بن حنبل في بني إسرائيل لكان آية.

علي بن شعيب الطوسي:

قال علي: لقد لقيت مئتي شيخ من مشايخ العلم، فما رأيت مثلَ أحمدَ بنِ حنبل، لم يكن يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس، فإذا ذُكر العلم تكلم.

إبراهيم الحربي:

قال إبراهيم: أنا أقول: سعيد بن المسيب في زمانه، وسفيان الثوري في زمانه، وأحمد بن حنبل في زمانه.

وقال أيضاً: انتهى علم رسول الله ما رواه أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام إلى أربعة: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وزهير بن حرب، وابن أبي شيبة، وكان أحمدُ أفقهَ القوم.

وقال أيضاً: إن الناس يقولون: أحمد بن حنبل بالتوهم، والله ما أجد لأحد من

التابعين عليه مزية، ولا أعرف أحداً يقدر قدره، ولا يعرف من الإسلام محله، ولقد صحبته عشرين سنة صيفاً وشتاءً، وحرّاً وبرداً، وليلاً ونهاراً، فما لقيته لقاءً في يوم إلا وهو زائد عليه بالأمس، ولقد كان يقدِّم أئمة العلماء من كل بلد وإمام كل مصر، فهُم بجلالتهم ما دام الرجل منهم خارجاً من المسجد، فإذا دخل المسجد صار غلاماً متعلماً. وقال أيضاً: التابعون كلهم وآخرهم أحمد بن حنبل ـ وهو عندي أجلُّهم ـ يقولون: من حلف بالطلاق أن لا يفعل شيئاً ثم فعله وهو ناسٍ كلهم يلزمونه الطلاق.

أبو بكر الأثرم:

ناظر الأثرم رجلاً فقال: من قال بهذه المسألة؟ فقال الأثرم: من ليس في شرق ولا غرب مثله. قال: من؟ قال الأثرم: أحمد بن حنبل.

عبد الوهاب الورَّاق:

قال عبد الوهاب: لما قال النبي ﷺ: «فرُدُّوه إلى عالمه»، فرددناه إلى أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل إمامنا، وهو من الراسخين في العلم، إذا وقفتُ غداً بين يدي الله تعالى فسألني بمن اقتديت؟ أقول: بأحمد بن حنبل، وأيُّ شيء ذهب على أبي عبد الله من أمر الإسلام وقد بُلي عشرين سنة في هذا الأمر؟! والله ما رأيت مثل أحمد بن حنبل، فقيل له: أيُّ شيء بان لك من فضله على سائر من رأيت؟ قال: رجل سئل عن ستين ألف مسألة فأجاب فيها بحدثنا وأخبرنا.

مُهَنَّأ بن يحيى الشامي:

قال مُهَنَّأ: ما رأيت أجمع لكل خير من أحمد بن حنبل، وقد رأيت سفيان بن عيينة، ووكيعاً وعبد الرزاق، وعقبة بن الوليد، وضمرة بن ربيعة، وكثيراً من العلماء، فما رأيت مثل أحمد بن حنبل في علمه وفقهه وزهده وورعه.

أقول: وهذا باب واسع جداً، ولنقتصر على هذا خشية التطويل والملل، والله أعلم.

(ذكر إنفاذ الياس السلام إليه وزيارة الأولياء له وتبركهم بذلك وتنويه ذكره)

قدم على أحمد رجل من الهند فقال: إنِّي رجل من بحر الهند، خرجت أريد الصين، فأصيب مركبنا، فأتاني راكبان على موجة من أمواج البحر، فقال لي أحدهما: أتحب أن يخلصك الله على أن تقرىء أحمد بن حنبل منا السلام؟ ومن أحمد، من أنتما يرحمكما الله؟ قال: أنا إلياس، وهذا الملك الموكل بجزائر البحر، وأحمد بن حنبل بالعراق. قلت: نعم. فنفضني البحر نفضة فإذا أنا بساحل أُبُلَّة، فقد جئتك أبلغك منهما السلام.

قلت: ذكر هذه القصة وكثيراً من أمثالها ابن الجوزي، وهي وأمثالها مما لا صحة له، وإنما ذكرتها للتنبيه عليها وعلى أمثالها مما لا يصح.

أما زيارة الأولياء له وتبركهم بذلك:

فقال أحمد بن حنبل: جاءني رجل عليه فروة، وعلى أم رأسه خرقة، ما تحت فروته قميص، ولا معه ركوة ولا جراب ولا عكاز، قد لوحته الشمس، فقلت: أُدخُلْ. فدخل الدهليز، فقلت: من أين أقبلت؟ قال: من ناحية المشرق أريد بعض هذه السواحل، ولولا مكانك ما دخلت هذا البلد، إلا أني نويت السلام عليك. قال: قلت: على هذه الحال؟ قال: نعم، ما الزهد في الدنيا؟ قلت: قصر الأمل. وجعلت أتعجب منه، فقلت في نفسي، ما عندي ذهب ولا فضة. فدخلت البيت، فأخذت أربعة أرغفة، فخرجت إليه، فقلت: ما عندي ذهب ولا فضة، وإنما هذا من قوتي. فقال: أو يَسُرّك أن أقبل ذلك يا أبا عبد الله؟ قلت: نعم. قال: فأخذها، فوضعها تحت حضنه، وقال: أرجو أن تكفيني، هذه زادي إلى الرقة، أستودعك الله. قال: فلم أزل أنظر إلى أن خرج، وكان يذكره كثيراً.

وجاء رجل شاب عليه أطمار فاستأذن، فخرج إليه أحمد فقال: السلام عليك يا أبا عبد الله، أخبرْني، ما الزهد في الدنيا؟ فقال أحمد: قصر الأمل. فقال: صفه لي. فقال: هو أن لا تبلغ من الشمس إلى الفيء، وكان الشاب قائماً في الشمس، والفيء بين يديه، فذهب الفتى ليولي، فقال له أحمد: قف. قال: فدخل، فأخرج له صرة، فدفعها إليه، فقال له: يا أبا عبد الله، من لا يبلغ من الشمس إلى الفيء أيُّ شيء يصنع بهذا؟ ثم تركه وولَّى.

قلت: وهذا باب واسع أيضاً، تركته رغبة في الاختصار.

وأما تنويه ذكره فقد تقدم في ذكر منشئه في صباه أنه كان مرتفعَ الذكر من زمن الصبا. قال له أبو بكر المَرُّوذي: ما أكثر الداعي لك! قال: أخاف أن يكون هذا استدراجاً، أي شيء هذا؟.

وقال له: إن رجلاً قدم من طرسوس، فقال لي: إنا كنا في بلاد الروم في الغزو، إذا هدأ الليل رفعوا أصواتهم بالدعاء: ادعوا لأحمد بن حنبل. وكنا نمد المنجنيق، ونرمي عنه، ولقد رمي عنه بحجر والعلج على الحصن متترس بدرقة، فذهب برأسه وبالدرقة. فتغير وجهه وقال: ليته لا يكون استدراجاً. ثم قال: ترى هذا استدراجاً؟ قلت: كلا.

وقال أحمد بن علي الأبّار: دخلت بخارى فإذا رجل أشقر أحمر، فقال: من أين أنت؟ قلت: من أهل بغداد. قال: فما فعل أحمد بن حنبل؟ قلت: تركته في الحياة، فرفع رأسه يقول: اللهم... يدعو له، فقلت لمن معي: هذا أقصى الإسلام، هذا موضع التُّرك، فهل بقي شيء؟.

وقيل لأحمد بن حنبل: إن رجلاً من بلاد التُّرك يدعو لك في الناس، فكيف تؤدِّي شكر ما أنعم الله عليك، وما بثَّ لك في الناس؟ فقال: أسأل الله أن لا يجعلني من المرائين.

وقال رجل من أهل خراسان: كان أهل خراسان يرون أن أحمد بن حنبل لا يشبه البشر، يظنون أنه من الملائكة.

وقال رجل كان في ثغر: نحن نقول: نظرة من أحمد بن حنبل خير، أو قال: تعدل عندنا عبادة سنة.

وقال علي بن الجهم: كنت شابّاً، فرأيت الناس يمرون أفواجاً أفواجاً، فسألت، فقالوا: رجلٌ رأى أحمد بن حنبل. فقلت له: رأيتُ أحمدَ بنَ حنبل؟ فقال: صليتُ في مسجده.

ووقع بين امرأتين مجوسيتين اختلاف في ميراث، فاحتكمتا إلى عالم، فقضى إلى إحداهن، فقالت: إن كنتَ قضيتَ بقضاء أحمد بن حنبل قبلت، وإلا لم أقبل. فقال: نعم، بقضاء أحمد بن حنبل. فقبلتْ.

وقال بعض المتطببين: سألني بعض القسيسين والرهبان أن يجيء معي إلى أحمد بن حنبل، فينظر إليه.

ودخل إليه نصراني يعالجه فقال: يا أبا عبد الله، إني لأشتهي أن أراك منذ سنين، وليس بقاؤك صلاح للإسلام وحدهم، بل للخلق جميعاً، وليس من أصحابنا أحد إلا وقد رضي بك.

وقال المرُّوذي: قلت لأحمد: إني لأرجو أن يكون يدعى لك في جميع الأمصار. فقال: يا أبا بكر، إذا عرف الرجل نفسه فما ينفعه كلام الناس؟.

وكان محمد بن عبد الله الصيرفي يخاطب المتعلمين لمذهب الشافعي يقول لهم: اعتبروا بهذين: حسين الكرابيسي وأبي ثور؛ الحسين في علمه وحفظه، وأبو ثور لا يعشره في علمه. فتكلم أحمد بن حنبل في الحسين فسقط؛ وأثنى على أبي ثور فارتفع.

وقال عبد الله بن طاهر: ما رأيت أعجب من هؤلاء المرجئة! يقول أحدهم:

إيماني كإيمان جبريل، والله ما أستجيز أن أقول: إيماني كإيمان يحيى بن يحيى ولا كإيمان أحمد بن حنبل.

وقال محمد بن يحيى: ما رأيت براً أنفق من برّ أحمد بن حنبل، كنت أسمع منه بالغداة وأملي بالعشي.

وقال أحمد: لما قدمت صنعاء اليمن أنا ويحيى بن معين في وقت صلاة العصر، فسألنا عن منزل عبد الرزاق، فقيل: إنه بقرية يقال لها: الرَّمادة. فمضيت لشهوتي للقائه، وتخلف يحيى بن معين، وبينها وبين صنعاء قريب، حتى إذا سألت عن منزله قيل: هذا منزله. فلما ذهبت أدق الباب قال لي بقَّال تجاه بابه: لا تدق فإن الشيخ مَهُوب. فجلست، حتى إذا كان قبل صلاة المغرب خرج للصلاة، فوثبت إليه، وفي يدي أحاديث قد انتقيتها، فقلت له: سلامٌ عليكم، تُحدثني بهذه ـ رحمك الله ـ فإني رجل غريب؟ فقال لي: من أنت؟ فقلت: أحمد ابن حنبل. قال: فتقاصر، ورجع، وضمَّني إليه، وقال: بالله أنت أبو عبد الله؟! ثم أخذ الأحاديث، فلم يزل يقرؤها حتى أشكل عليه الظلام، فقال للبقال: هلمَّ المصباح. حتى خرج وقت المغرب، وكان يؤخِّرها.

وقال أبو العباس الخطاب: كتبت رِقاعاً والناس متوافرون يومئذٍ، أسود بن سالم، وبشر بن الحارث، وأحمد بن حنبل، وذكر جماعة. وكتبت اسم كل رجل في ورقة، وصليت ركعتين، ودعوت الله تعالى أن يُخرج لي رجلاً أقتدي به، وخلطت الرِّقاع، وجعلتها تحت شيء، ثم ضربت بيدي، فخرج أحمد بن حنبل، فجعلت أتعجب، ثم فعلت الثانية، والثالثة، كذلك.

قلت: هذه القصة في جوازها نظر، إذ هي إلى الطِّيَرَةِ أو المَيْسِرِ أقرب، وإنما ذكرتُها للتنبيه عليها.

وبهذا القدر الذي سقته كفاية، والله أعلم.

(ذكر اعتقاده في الأصول وتمسُّكه بالسنة والأثر، وتعظيمه لأهل السنة والنقل، وإعراضه عن أهل البدع، ونهيه عن كلامهم وقدحه فيهم، وتبركه واستشفائه بالقرآن وماء زمزم وشَعْر النبي ﷺ)

أما اعتقاده في الأصول:

فمن ذلك مذهبه في الإيمان.

قال أحمد بن حنبل: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، البِرُّ كلُّه من الإيمان، والمعاصي تنقص من الإيمان.

قوله في القرآن:

قال أحمد: من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر، ومَنْ قال: لفظي بالقرآن مخلوقٌ، فهو جَهْمي، القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

مذهبه في أخبار الصفات:

قال أحمد: هذه الأحاديث في الصفات نرويها كما جاءت، وقال: من صفة المؤمن من أهل السنّة والجماعة إرجاع الأمور كلها إلى الله، كما جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ: «إن أهل الجنة يرون ربهم» فيصدقها ولا يضرب لها الأمثال، هذا ما اجتمع عليه العلماء في الآفاق.

مذهبه في ذم الكلام:

قال أحمد: لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب أو في حديث عن رسول الله ﷺ أو عن أصحابه، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود.

وقال أيضاً: لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبُّوا عن السنّة.

مذهبه في أهل البدع من الجهمية واللفظية والواقفة والقدرية.

قال أحمد: اللفظية شرٌّ من الجهمية.

وقال أيضاً: الواقفة والجهمية واللفظية عندنا سواء.

وقال أيضاً: إذا صليت وبجنبك جهمي فأعد.

وسُئل عن الواقفة فقال: كفار. وقيل له: إن الكرابيسيَّ يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فقال: كذب الخبيث، هتكه الله، قد خلف هذا بشراً المريسيّ.

وقال أيضاً: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، لا يُصلَّى خلفه ولا يُجالس ولا يُكلم ولا يُصلَّى عليه.

وقال أيضًا: علماء المعتزلة زنادقة.

وسئل: أنصلي خلف القدري؟ فقال: إذا قال: إن الله لا يعلم ما يعمل العباد حتى يعملوا، فلا نصلي خلفه، ولا نصلي خلف الرافضي إذا كان يتناول أصحاب رسول الله ﷺ.

وقال أيضاً: افترقت الجهمية على ثلاث فرق: فرقة قالوا: القرآن مخلوق، وفرقة قالوا: كلام الله، وسكتوا، وفرقة قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق. قيل: يا أبا عبد الله فلا يكلم مَنْ توقف؟ قال: لا يكلم، قيل: فإن كلَّمه رجل؟ قال: مُروه فإن ترك كلامه فكلموه، وإلا فلا تكلموه. ولا تصلوا خلف اللفظية والواقفية ومن صلى خلفهم أعاد.

مذهبه في تفضيل الصحابة:

قال أحمد: التفضيل على حديث ابن عمر: أبو بكر وعمر وعثمان. والخلافة على حديث سفينة. أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. وقيل له عن الشهادة: إن أبا بكر وعمر في الجنة؟ فقال: نعم. أذهبُ إلى حديث سعيد بن زيد قال: أشهد أن النبي ﷺ

في الجنة وكذلك أصحابه التسعة. وقال النبي ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومئة صف، ثمانون منها أمتي». فإذا لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منهم فمن يكون؟!.

وقال أيضاً: إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام.

وقال أيضاً: لما مرض رسول الله ﷺ قدَّم أبا بكر ليصلي بالناس وقد كان في القوم من هو أقرأ منه، وإنما أراد الخلافة.

وقال أيضاً: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، نقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله ﷺ، لم يختلفوا في ذلك، ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة: علي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد، كلهم يصلح إماماً، وكلهم يصلح للخلافة، نذهب في ذلك إلى حديث ابن عمر: كنا نعدُّ والنبيُّ ﷺ حيّ وأصحابه متوافرون: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم نسكت، ثم نعدُّ أصحاب الشورى، ثم أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ على قدر الهجرة والسابقة أولاً فأولاً، ثم أفضل الناس بعد هؤلاء القرنُ الذي بُعث فيهم كل من صحبه: سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه، فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه ونظر إليه نظرة، فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ وسمعوا منه أفضل لصحبتهم من أفضل التابعين ولو عملوا كل أعمال الخير، ومن انتقص أحداً من الصحابة أو أبغضه لحدثٍ كان منه أو ذكر مساوئه كان مبتدعاً حتى يترحم عليهم جميعاً ويكون قلبه لهم سليماً.

مذهبه في تقديم عثمان على علي عليهما السلام:

سئل عمَّن قدَّمَ علياً على عثمان، أمبتدع هو؟ فقال: هذا أهل أن يبدّع، أصحاب رسول الله ﷺ قدموا عثمان رضي الله عنه.

وقال أيضاً: نقول: عثمان ثم علي، فمن قدم علياً على عثمان فقد أزرى بأصحاب الشورى.

وقال أيضاً: من قدم علياً على أبي بكر فقد طعن على رسول الله ﷺ، ومن قدم علياً على عمر فقد طعن على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر، ومن قدم علياً على عثمان فقد طعن على رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعلى المهاجرين، ولا أحسب يصلح له عمل.

كلامه في علي رضي الله عنه وأهل البيت:

قال أحمد بن حنبل: إن الخلافة لم تزين علياً إنما زيّن علي الخلافة.

وقال أيضاً: الخلافة أبو بكر وعمر وعثمان، فقيل: فعليٌّ؟ فقال: عليٌّ من أهل بيت لا يقاس بهم أحد.

وقال أيضاً: ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحيحة ما لعليٍّ رضي الله عنه.

وقال أيضاً: مَن لم يثبت الخلافة لعليٍّ فهو أضلُّ من حمار أهله.

وسئل عن خلافة علي، هل هي ثابتة؟ فقال: سبحان الله يقيم عليٌّ الحدود، ويقطع، ويأخذ الصدقة ويقسمها بلا حقٍ وجب له!! أعوذ بالله من هذه المقالة، نعم هو خليفة، رضيه أصحاب رسول الله ﷺ، وصلوا خلفه، وغزوا معه، وجاهدوا وحجوا غير منكرين، وسموه أمير المؤمنين راضين بذلك، ونحن لهم تبع.

قوله فيما شجر بين الصحابة:

قال أحمد وقد سئل عما كان من علي ومعاوية، فقال: ما أقول فيهم إلا الحسنى.

وقال أيضاً: رحم الله الصحابة أجمعين ومعاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعريَّ والمغيرة، كلُّهم وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾.

وسئل عما جرى بين علي ومعاوية فقال: ﴿تلك أمة قد خَلَتْ لها ما كَسَبَتْ ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون﴾ [البقرة: ١٣٤].

كلامه في الرافضة:

سئل عن الرافضي ما هو؟ فقال: الذي يسبُّ أبا بكر وعمر، ومن سبَّ رجلاً من الصحابة فلا أراه على الإسلام.

جُمل من اعتقاده:

قال أحمد: من صفة المؤمن من أهل السنّة والجماعة أن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن يُقرَّ بجميع ما أتت به الأنبياء والرسل، ويعقد قلبه على ما يُظهر لسانه، ولم يشك في إيمانه، ولم يُكفرِّ أحداً من أهل التوحيد بذنب، وإرجاء ما غاب عنه من الأمور إلى الله، وتفويض أمره إلى الله، ولم يقطع بالذنوب، العصمة من عند الله، وأن كل شيء بقضاءٍ وقدرٍ الخير والشر جميعًا، ويرجو لمحسن أمة محمدٍ، ويخاف على مسيئهم، ولم يُنزل أحداً من أمة محمد الجنة بإحسانه، ولا النار بذنب اكتسبه، حتى يكون الله الذي يُنزل خلقه كيف يشاء، وَعَرَف حقَّ السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه، وقدَّم أبا بكر وعمر وعثمان، وعرف حقَّ علي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد على سائر الصحابة، فإن هؤلاء التسعة الذين كانوا مع النبي ﷺ على جبل حِراء، فقال ﷺ: «اسْكُنْ حراء، فما عليك إلا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيد» والنبي ﷺ عاشرهم، وترحم على جميع الصحابة، صغيرهم وكبيرهم، وحدَّث بفضائلهم، وأمسك عما شجر بينهم، وصلاة العيدين والخسوف والكسوف والجمعة والجماعات مع كل أمير برٍ أو فاجر، والمسح على الخفين في السفر والحضر، والقصر في السفر، والقرآن كلام الله وتنزيله، ليس بمخلوق، والإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والجهاد ماضٍ منذ بعث الله محمداً ﷺ إلى آخر عصابة يقاتلون الدجال، لا يضرهم جور جائر، والشراء والبيع حلال إلى يوم القيامة على حكم الكتاب والسنّة، والتكبير على الجنائز أربعاً، والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بسيفك، ولا تقاتل في

فتنة، وتلزم بيتك، والإيمان بعذاب القبر، والإيمان بمنكر ونكير، والإيمان بالحوض والشفاعة، والإيمان أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى، وأن الموحدين يخرجون من النار من بعد ما امتحشوا، كما جاءت الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي ﷺ، فنحن نصدقها ولا نضرب لها الأمثال، هذا ما اجتمع عليه العلماء في الآفاق.

ورسالة مُسَدَّد بن مُسرْهَد مطبوعة معروفة تركناها لشهرتها، وقد احتوت على كثير مما يجب اعتقاده، وغير ذلك مما ذكره ابن الجوزي، أضربنا عن ذكره طلباً للاختصار.

أما تمسكه بالسنّة والأثر:

فكان شديد الاتباع للآثار حتى قيل: إنه استأذن أحمد زوجته في أن يتسرى طلباً للاتباع، فاشترى جارية بثمن يسير وسماها ريحانة استناناً برسول الله ﷺ.

وقال رجل: أحيانا الله على الإسلام، فقال أحمد: والسنّة.

وقال الميموني: ما رأت عيني أفضل من أحمد بن حنبل، وما رأيت أحداً من المحدثين أشد تعظيماً لحرمات الله عزّ وجلّ وسنّة رسول الله ﷺ إذا صحت عنده، ولا أشد اتباعاً منه.

وقال أحمد: إنما هو السنّة والكتاب والاتباع، وإنما القياس أن يقيس على الأصل، أما أن يجيء إلى الأصل فيهدمه، ثم يقول: هذا قياس! فعلى أي شيء كان هذا القياس؟!.

وقال رجل عنده: لا ينبغي أن يقايس إلا رجل عالم كبير يعرف كيف يُشبِّهُ الشيء بالشيء، فقال أحمد: أجل لا ينبغي.

وقال أحمد: إذا كان في المسألة حديث عن النبي ﷺ لا يؤخذ بقول أحدٍ من الصحابة، ولا من بعده خلافَه، وإذا كان قول عن أحدٍ من الصحابة مختلف تخيَّر من أقوالهم إلى قول، وإذا كان لم يكن فيها عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه قول، تخيَّر من أقاويل التابعين.

وقال أيضاً: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام.

وقال أيضاً: ما كتبت حديثاً عن النبي ﷺ إلا وقد عملت به، حتى مرّ بي في الحديث: أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً، فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت.

وسئل عن الوسواس والخطرات فقال: ما تكلم فيها الصحابة والتابعون.

وأما تعظيمه لأهل السنّة والنقل:

فقيل لأحمد بن حنبل: إن ابن أبي قُتيلة بمكة ذُكر له أصحاب الحديث فقال: قوم سوء، فقال أحمد: زنديق زنديق زنديق، وقام وهو ينفض ثوبه ودخل بيته.

وقال أيضاً: من عَظَّم أصحاب الحديث تعظم في عين رسول الله ﷺ، ومن حقَّرهم سقط من عين رسول الله ﷺ، لأن أصحاب الحديث أحبار رسول الله ﷺ.

وقيل لأحمد: من مات على الإسلام والسنّة مات على خير؟ فقال أحمد: بلى، مات على الخير كلِّه.

وقيل لأحمد: أين نطلب البُدلاء؟ فسكت ساعة ثم قال: إن لم يكن في أصحاب الحديث فلا أدري.

ورأى أحمد أصحاب الحديث وقد خرجوا من عند محدِّث، والمحابر بأيديهم، فقال: إن لم يكونوا هؤلاء الناسَ فلا أدري مَنِ الناس؟! وقيل: أيما أحب إليك، الرجلُ يكتب الحديث، أو يصوم ويصلي؟ قال: يكتب الحديث. فقيل: من أين فضلت كتب الحديث على الصوم والصلاة؟ قال: كيلا يقول قائل إني رأيت قوماً على شيء فتبعتهم.

وقال أيضاً: من رَدَّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكةٍ.

وأما إعراضه عن أهل البدع ونهيه عن كلامهم وقدحه فيهم.

فقد جاء الحزامي إلى أحمد بن حنبل وكان قد ذهب إلى ابن أبي دؤاد، فلما

خرج إليه أحمد ورآه، أغلق الباب في وجهه ودخل.

وقيل له: الرجل من أهل السنّة مع الرجل من أهل البدعة؟ فقال: أَعْلِمْهُ أن الذي رأيتَه معه صاحبُ بدعة، فإن ترك كلامه وإلا فألْحِقْهُ به.

وقال أيضاً: ما أعلم الناسَ في زمان أحوج منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان.

وتكلم الحارث المحاسبي في شيء من الكلام، فهجره أحمد بن حنبل واختفى في دار ببغداد ومات فيها، ولم يصلِّ عليه إلا أربعة نفر.

وهذا باب واسع جداً.

وأما تبركه واستشفاؤه بالقرآن وماء زمزم وشَعْر النبي ﷺ وقصعته:

فكان إذا اعتلَّ ابنه أخذ قدحاً فيه ماء فيقرأ فيه، ثم يقول: اشرب منه واغسل وجهك ويديك.

وكان يأخذ الشعرة من شعر رسول الله ﷺ فيضعها على فيه يقبلها، ويضعها على عينيه ويغمسها في الماء ثم يشربه يستشفي به.

وكان يأخذ قصعة النبي ﷺ، فيغسلها في حب الماء ثم يشرب فيها، وكان يشرب ماء زمزم يستشفي به ويمسح يديه ووجهه.

(ذكر الوقت الذي ابتدأ فيه بالتحديث والفتوى، وبذله للعلم واحتسابه في ذلك وذكر مصنفاته، وكراهيته وضع الكتب المشتملة على الرأي ليتوفر الالتفات إلى النقل وكراهيته أن يكتب كلامه أو أن يروى)

أما الوقت الذي ابتدأ فيه بالتحديث والفتوى:

فكان يفتي في شبابه في بعض الأوقات، ويحدث إذا سئل، ولا يعتبر سِنَّ نفسه.

قال القُوْمِسِي: رأيت أحمد بنَ حنبل في مسجد الخِيف في سنة ثمان وتسعين ومئة مستنداً إلى المنارة، وجاء أصحاب الحديث فجعل يعلمهم الفقه والحديث، ويفتي في المناسك فتياً واسعة، فوقفت عليه ولم أكن عرفته، فقلت لرجل: مَنْ هذا؟ قال: أحمد بن حنبل، فانتظرته حتى تفرق الناس، ثم أخذت بيده فسلمت عليه، فجرت بيني وبينه المعرفة من ذلك الوقت.

قال ابن الجوزي: لم يتصدر أحمد بن حنبل للفتيا ولم ينصب نفسه لها إلا بعد الأربعين سنة من عمره.

قال حجاج بن الشاعر: جئت إلى أحمد بن حنبل فسألته أن يحدثني في سنة ثلاث ومئتين فأبى، فخرجت إلى عبد الرزاق، ثم رجعت سنة أربع وقد حدث أحمد واستوى الناس عليه وعمره أربعون سنة.

وأما بذله العلم واحتسابه في ذلك:

فسأله رجل عن حديث، فأمر ابنه عبد الله وقال: أَخرِجْ إليَّ كتاب الفوائد، فأخرجه، فجعل يطلبه فلم يجد الحديث، فقام بنفسه فنزل عن ظهر مسجده، ودخل منزله، فلم يلبث كثيراً ثم عاد إلينا وعلى يده عدد أجزاء من الكتب، فقعد يطلب

الحديث، فطال عليه، فقال له السائل: قد تعبتَ يا أبا عبد الله فدعه، فقال: لا، الحاجة لنا. فرأينا أنه دخل البيت فنظر إلى كل جزء يتوهم ذلك الحديث فيه، فأخرج تلك الأجزاء لئلا يرى أنه قد أشغله، وكره أن يجلس في المنزل لطلب ذلك الحديث، وبحسبك هذا كرم مجالسة.

وقال أبو حاتم الرازي: أتيت أحمد بن حنبل أول ما التقيت به سنة ثلاث عشرة ومئتين، فإذا قد أخرج معه إلى الصلاة كتاب «الأشربة»، وكتاب «الإيمان»، فصلى فلم يسأله أحد، فرده إلى بيته، وأتيته يوماً آخر وقد أخرج الكتابين، فظننت أنه يحتسب في إخراج ذلك، لأن كتاب «الإيمان» أصل الدين، وكتاب «الأشربة» صرف الناس عن الشر، فإن أصل كل شر السكر.

وجاء أبو العلاء الخادم إلى أحمد بن حنبل، وكان شيخاً مشمراً يشبه القراء متواضعاً، فاستأذن على أحمد، فخرج إليه وإذا في المسجد رجل غريب، وعليه أطمار ومعه محبرة، فلما قعد أحمد حانت منه التفاتة فرأى الرجل، فقال لأبي العلاء: لا يشتد عليك الحر، فقام. ثم جعل أحمد يلاحظ الرجل، فلما لم يسأله قال له أحمد: ألك حاجة؟ قال: تعلمني مما علمك الله، فقام فدخل منزله فأخرج كتباً وقال له: ادنه، فجعل يملي عليه، ثم يقول للرجل: اقرأ ما كتبت.

وأما مصنفاته:

فكان الإمام أحمد لا يرى وضع الكتب، وينهى أن يكتب عنه كلام أو تروى عنه مسائل، ولو رأى ذلك لكانت له تصانيف كثيرة، ولنقلت عنه كتب، فكانت تصانيفه المنقولات.

فصنف «المسند»: وهو ثلاثون ألف حديث، وكان يقول لابنه عبد الله: احتفظ بهذا المسند، فقد جعلته إماماً للناس.

وكتاب **«التفسير»**: وهو مئة ألف وعشرون ألفاً.

و «الناسخ والمنسوخ».

و«**التاريخ**» و «**حديث شعبة**» و «**المقدم والمؤخر في كتاب الله**» و «**جوابات القرآن**» و «**المناسك الكبير**» و «**المناسك الصغير**».

وأشياء أخر. وذكر له في «هدية العارفين» غيرها.

ذكر ابن الجوزي: كتاب «**طاعة الرسول**»، كتاب «**الأشربة الصغير**»، كتاب «**الإيمان**»، كتاب «**الرد على الجهمية**»، كتاب «**الزهد**»، كتاب «**العلل**» في الحديث، كتاب «**الفرائض**»، كتاب «**الفضائل**»، كتاب «**المسائل**»، كتاب «**مناقب علي بن أبي طالب**».

قال ابن الجوزي: وكان ينهى الناس عن كتابة كلامه، فنظر الله إلى حسن قصده، فنقلت ألفاظه وحفظت، فقلَّ أن تقع مسألة إلا وله فيها كلام ونص في الفروع والأصول، وربما عدمت في تلك المسألة نصوص الفقهاء الذين صنفوا وجمعوا.

وجمع أحمدُ حنبلَ بن إسحاق وابنيه صالحاً وعبد الله وقرأ عليهم «المسند». قال حنبل: وما سمعه منه غيرنا وابنيه، وقال لنا: هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبع مئة ألف حديث وخمسين ألفاً، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله ﷺ، فارجعوا إليه، فإن وجدتموه فيه وإلا فليس بحجة.

أما كراهيته وضع الكتب المشتملة على الرأي ليتوفر الالتفات إلى النقل:

فكان رضي الله عنه يكره وضع الكتب التي تشتمل على التفريع والرأي، ويحب التمسك بالأثر.

قال عثمان بن سعيد: قال لي أحمد: لا تنظر في كتب أبي عبيد، ولا فيما وضع إسحاق، ولا سفيان، ولا الشافعي، ولا مالك، وعليك بالأصل.

وقيل له: إن أصحاب الحديث يكتبون كتب الشافعي؟ قال: لا أرى لهم ذلك.

وسئل عن كتب أبي ثور فقال: كتاب ابتدع فيه بدعة. ولم يعجبه وضع الكتب، وقال: عليكم بالحديث. وكان يأمر بكتاب «الموطأ» لمالك ويرخص فيه، وينهى عن «جامع سفيان» وقال: عليكم بالأثر.

وقيل له: أنكتب كتب الرأي؟ قال: لا. قيل له: فابن المبارك قد كتبها؟ قال: ابن المبارك لم ينزل من السماء، إنما أُمرنا أن نأخذ العلم من فوق.

وأما نهيه أن يكتب كلامه أو أن يروى وكراهيته لذلك:

فكان يكره أن يكتب شيء من رأيه وفتواه، وكان يقول: بلغني عن إسحاق الكوسج أنه يروي عني مسائل بخراسان، أشهدكم أني قد رجعت عن ذلك كله.

وجاء رجل ومعه جزء، فنظر فيه أحمد، فإذا فيه كلام لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، فغضب ورمى الكتاب من يده.

وكان يقول: القلانس من السماء تنزل على رؤوس قوم، يقولون برؤوسهم هكذا وهكذا. والمعنى: لا يريدها. وقوله: «هكذا وهكذا» أي يميلون رؤوسهم عن أن يتمكن منها. ومعنى الكلام: أنهم لا يريدون الرئاسة وهي تقع عليهم. ويحتمل أنهم يطأطئون رؤوسهم تواضعاً. . فكذلك كان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ينهى عن كتب كلامه تواضعاً وقدَّر الله أن دُوّن ورُتب وشاع.

(ذكر كلامه في الإخلاص والرياء وستر التعبد، والزهد والرقائق وفنون مختلفة، وما أنشد من الشعر أو نسب إليه، ومكاتباته)

كان رضي الله عنه يقول: إن إظهار المحبرة من الرياء.

وذكر له الصدق والإخلاص فقال: بهذا ارتفع القوم.

وقال المَرُّوذي: كنت مع أحمد بن حنبل أربعة أشهر بالعسكر ولم يدع قيام الليل وقراءة النهار، فما علمت بختمة ختمها وكان يستر ذلك.

ولقي أحمد رجلاً كان داهنه في شيء، فقال له أحمد: لو تحجبت ما خفت أحداً. وسئل عن الحب في الله فقال: أن لا يحب لطمع الدنيا.

أما كلامه في الزهد والرقائق:

فقد قال رحمه الله: كل شيء من الخير بادر فيه.

وشاورَه رجل في الخروج إلى الثغر فقال: بادر بادر.

وقيل له: بم تلين القلوب؟ فنظر إلى أصحابه فغمزهم بعينه، ثم أطرق ساعة، ثم رفع رأسه فقال: بأكل الحلال.

وكان يقول: يا نفس انصَبي وإلا فستحزني.

وقال: الدنيا قليلها يجزي وكثيرها لا يجزي، والفقر مع الخير.. وكان يقول: ما أعدل بفضل الفقر شيئاً، تدري إذا سألك أهلك حاجة لا تقدر عليها أي شيء لك من الأجر؟

وكان يقول: شبّهتُ الشباب بشيء كان في كمي فسقط.

وكان يقول: ما قلَّ من الدنيا كان أقلّ للحساب.

وسئل عن التوكل، فقال: قَطْعُ الاستشراف باليأس من الناس. قيل له: ما

الحجة فيه؟ قال: قول إبراهيم حين وضع في المنجنيق مع جبريل حين قال: أما إليك فلا.

وسئل عن الفتوة فقال: ترك ما تهوى لما تخشى.

وبات عنده رجل فوضع له أحمد ماءً، فلما أصبح وجده لم يستعمله، فقال: صاحب حديث لا يكون له ورد من الليل؟! فقال له: أنا مسافر. فقال له: وإن كنت مسافراً، حجَّ مسروق فما نام إلا ساجداً.

وودَّعه رجل فقال: توصي بشيء؟ قال: نعم، اجعل التقوى زادك وانصب الآخرة أمامك. وكان يقول: عزيز عليَّ أن تُذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن.

وكان يقول: انوِ الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويتَ الخير.

وسئل: بم بلغ القوم حتى مُدحوا؟ فقال: بالصدق. وكان يقول: ليس بتقي من لا يدري ما يتقي.

أما كلامه في فنون مختلفة:

فكان يقول: يؤكل الطعام بثلاث: مع الإخوان بالسرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة.

وكان يقول: إن لكل شيء كرماً، وكرم القلوب الرضا عن الله عزّ وجلّ.

وكان يقول: إذا مات أصدقاء الرجل ذلّ. وكان يقول: لو كانت الدنيا لقمة ثم أخذها امرؤ مسلم فوضعها في فم أخيه المسلم لما كان مسرفاً.

ودخل عليه رجل كان يمارس المعاصي فسلم عليه، فكأن أحمد لم يرد عليه ردّاً تامّاً وانقبض منه، فقال له: لم تنقبض مني فإني قد انتقلت عما كنت تعهده مني؟ برؤيا رأيتُها، قال: وأي شيء رأيتَ؟ قال: رأيت النبي ﷺ في النوم كأنه على علو من الأرض وأناس كثير أسفل جلوس، فيقوم الرجل منهم إليه فيقول: ادع لي، فيدعو له، حتى لم يبق من القوم غيري، فأردت أن أقوم فاستحييت من قبيح ما كنت عليه، فقال

لي: يا فلان لم لا تقوم إلي تسألني أن أدعو لك؟ قلت: يا رسول الله يقطعني الحياء لقبيح ما أنا عليه، فقال: إن كان يقطعك الحياء، فقم فسلني أدعو لك، فإنك لا تسبُّ أحداً من أصحابي، فقمت فدعا لي، ثم انتبهت، وقد بغض الله إليَّ ما كنت عليه.

فقال أحمد لمن حضر: حدِّثوا بهذا واحفظوه فإنه ينفع.

وكان يقول: طلب علوِّ الإسناد من السنة.

ورأى رجلاً يكتب خطاً دقيقاً، فقال: لا تفعل، أحوج ما تكون إليه يخونك.

وشاوره رجل بالتزوج، فقال: تزوج ببكر، واحرص على أن لا يكون لها أم.

وقال لولديه: اكتبا من سلَّم علينا ممن حج، فإذا قدم سلمنا عليه.

أما ما أنشده من الشعر أو نسب إليه:

فدخل عليه ثعلب فقال: بم تنظر؟ قال ثعلب: في النحو والعربية فقال أحمد منشداً:

إذا ما خلوتَ الدهر يوماً فلا تقل ... خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ اللّهَ يغفلُ ساعةً ... ولا أنَّ ما يخفى عليه يغيبُ
لهونا عن الأيام حتى تتابعتْ ... ذنوبٌ على آثارهنَّ ذنوبُ
فيا ليتَ أنَّ الله يغفرُ ما مضى ... ويأذن في توباتنا فنتوب
إذا ما مضى القرنُ الذي أنت فيهمُ ... وخُلِّفتَ في قرنٍ فأنتَ غريبُ

وكان ينشد:

تفنى اللذاذة ممن نال صَفْوَتَها ... من الحرام ويبقى الإثم والعارُ
تبقى عواقب سوء من مغبتها ... لا خيرَ في لذَّةٍ من بعدها النارُ

وكان ينشد:

يا ابْنَ المدينيِّ الذي عَرَضَتْ له ... دنيا فجاد بدينه لينالها
ماذا دعاك إلى انتحال مقالة ... قد كنتَ تزعُم كافراً من قالها
أمرٌ بَدَا لك رُشدُه فتبعتَه ... أم زينةُ الدنيا أردتَ نوالَها

ولقـــد عهـــدتُـــك مـــرةً متشـــدّداً صعـــبَ المقـــالـــة للتـــي تُـــدعـــى لهـــا

إن المُـــرَزَّأَ مـــن يُصـــاب بـــدينـــه لا مـــن يـــرَزَّأُ نـــاقـــةً وفصـــالَهـــا

وأما مكاتباته:

فقد كتب إلى أحمد بن سعيد الدارمي، فقال: لأبي جعفر أكرمه الله من أحمد بن حنبل.

وكذلك كان يكتب عنوان الكتاب: إلى أبي فلان، وقال: هو أصوب من كتب: لأبي فلان.

وكتب إلى سعيد بن يعقوب: بسم الله الرحمن الرحيم من أحمد بن محمد إلى سعيد بن يعقوب فأما بعد: فإن الدنيا داء والسلطان داء، والعالم طبيب، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره، والسلام.

وكان يكتب: إلى فلان من فلان، فسئل عن ذلك فقال: كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، وكتب كلَّ ما كتب على ذلك، وأصحاب النبي ﷺ وكتب عمر إلى عتبة بن فرقد، وهذا الذي يكتب اليوم لا أعرفه مُحدَث. فقيل له: يبدأ بنفسه؟ قال: أما الأب فأحب أن يقدمه على اسمه، فلا يبدأ ولد باسمه على والده، وكذلك كبير السن يوقره، وغير ذلك لا بأس.

وقال ابن منيع: أردت الخروج إلى سويد بن سعيد، فقلت لأحمد بن حنبل: تكتب لي إليه؟ فكتب: وهذا رجل يكتب الحديث. فقلت: يا أبا عبد الله خدمتي لك ولزومي، لو كتبتَ: هذا رجل من أصحاب الحديث؟ فقال: صاحب الحديث عندنا من يستعمل الحديث.

(ذكر صفته وهيبته وسمته، ونظافته وطهارته، وسهولة أخلاقه وحسن معاشرته، وحلمه وعفوه)

أما صفته وهيبته وسمته:

فقال محمد بن العباس بن الوليد النحوي: سمعت أبي يقول: رأيت أحمد بن حنبل رجلاً حسنَ الوجه، رَبْعَةً من الرجال، يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني، في لحيته شعرات سود، فرأيت ثيابه غلاظاً إلا أنها بيض، فرأيته معتماً وعليه إزار. وكان ابنه عبد الله يقول: خضب أبي رأسه ولحيته بالحناء وهو ابن ثلاث وستين.

وقال أبو داود: لم يكن أحمد يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس، فإذا ذكر العلم تكلم.

وقال غيره: كان شيخاً مخضوباً طُوالاً، شديدَ السمرة، وكان إذا كان في البيت كان عامة جلوس متربعاً خاشعاً، فإذا كان خارج البيت لم يكن يتبين منه شدة خشوع كما كان داخلاً، وكان إذا دخل عليه أحدٌ والجزء بيده ينظر فيه، أطبقه ووضعه بين يديه.

وقال بعضهم: دخلت عليه وهو جالس على التراب وخضابه قد نصل، وأصول الشعر قد تبين بياضه، وعليه إزار دامس صغير وسخ، وقميص غليظ قد أصاب عاتقه التراب، والعرق قد بان على مستدير عاتقه.

وقال بعضهم: اختلفتُ عليه اثنتي عشرة سنة وهو يقرأ المسند على أولاده فما كتبت حديثاً واحداً، إنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه وآدابه.

وقال البُوْشَنْجي: ما رأيت أحمد جالساً إلا القرفصاء إلا أن يكون في الصلاة، وهي أن يجلس الرجل على أليتيه رافعاً ركبتيه إلى صدره.

وقال الحسن بن الربيع: كان أحمد يشبه ابن المبارك في سمته وهديه.

وقال محمد بن مسلم: كنا نهاب أن نردَّ أحمد في الشيء أو نحاجَّه في شيء من الأشياء.

وقال بعضهم: جئت إليه أُكلِّمه في شيء فوقعت عليَّ الرعدة حين رأيتُه من هيبته.

وقال أبو عبيد: جالستُ أبا يوسف، ومحمد بن الحسن، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، فما هبت أحداً منهم ما هبت أحمد بنَ حنبل، ولقد دخلت عليه في السجن لأسلم عليه فسألني رجل عن مسألة فلم أجبه هيبة لأحمد.

وأما نظافته وطهارته:

فقال الميموني: ما أعلم أني رأيت أحداً أنظف ثوباً ولا أشدَّ تعاهداً لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوباً وشدة بياض من أحمد بن حنبل.

وقال المرُّوذي: كان لا يدخل الحمام، وإذا احتاج إلى النورة تنوَّر في البيت، وأصحلت له غير مرة النورة، واشتريت له جلداً ليده، فكان يدخل يده فيه ينوِّر نفسه. وقال أبو العباس: ضربت لأحمد نورة ونوّرته، فلما بلغ عانته وليها.

وأما سهولة أخلاقه وحسن معاشرته:

فقال البُوْشَنْجي: ما رأيت أحداً في عصر أحمد ممن رأيت أجمع منه ديانة وصيانة وملكاً لنفسه، وطلقاً لها وفقهاً وعلماً وأدباً ويقيناً، وكرم خلق، وثبات قلب، وكرم مجالسة، وأبعد من التماوت.

وقال أبو عبد الله لعلي ابن المديني: إني أحب أن أصحبك إلى مكة، وما يمنعني من ذلك إلا أني أخاف أن أملّك أو تملّني، قال علي: فلما ودعته قلت له: يا أبا عبد الله توصي بشيء؟ قال: نعم، أَلْزِمْ تقوى الله قلبك، وانصِب الآخرة أمامك.

وكان أحمد رحمه الله إذا أراد القيام قال لجلسائه: إذا شئتم.

وقال أبو داود: كانت مجالسة أحمد مجالسة الآخرة، لا يذكر فيها شيء من أمور الدنيا، ما رأيته ذكر الدنيا قط.

وقال بعضهم: كان أحمد من أحيا الناس وأكرمهم نفساً وأحسنهم عشرة وأدباً، كثير الإطراق والغض، معرضاً عن القبيح واللغو، لا يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث وذكر الصالحين والزهاد، في وقار وسكون ولفظ حسن، وإذا لقيه إنسان بَشَّ به وأقبل عليه، وكان يتواضع للشيوخ تواضعاً شديداً، وكانوا يكرمونه ويعظمونه، وكان يفعل بيحيى بن معين ما لا يفعل بغيره من التواضع والتبجيل، وكان يحيى أكبر منه بنحو سبع سنين، وكان يضرب برجله إذا جاء من المسجد إلى البيت قبل أن يدخل البيت ليعلم أهل البيت بدخوله إلى الدار، وربما تنحنح ليعلم مَنْ في الدار بدخوله.

وقال علي بن مهدي: رأيت أحمد غير مرة، رأيته كثيراً يُقَبِّلُ وجهُه ورأسُه وخده، ولا يقول شيئاً ولا يمتنع من ذلك. وقبَّل سليمان بن داود الهاشمي جبهته ورأسه ولم يمتنع من ذلك ولم يكرهه، وكذا رأيت يعقوب بن إبراهيم يقبّل جبهته ووجهه.

وقال زهير بن صالح بن أحمد بن حنبل: كنا ندخل على جدي كل جمعة أنا وإخواني، وكان بيننا وبينه باب مفتوح، فكان يكتب لكل واحد منا حبتين من فضة في رقعة إلى فَامِيٍّ نعامله، فنأخذ منه الحبتين ونأخذ للأخوات، وكان ربما مررت به وهو قاعد في الشمس وظهره مكشوف وأثر الضرب بيِّنٌ في ظهره، وكان لي أخ أصغر مني اسمه علي، فأراد أبي أن يختنه فاتخذ له طعاماً كثيراً ودعا قوماً، فلما أراد أن يختنه وجه إليه جدي فدعاه، وقال له: بلغني ما أحدثت لهذا الأمر، وقد بلغني أنك قد أسرفت، فابدأ بالفقراء والضعفاء فأطعمهم، فلما كان من الغد وحضر الحجام وحضر أهلنا، دخل أبي إلى جدي فأعلمه أن الحجام قد حضر، فجاء جدي معه حتى جلس في الموضع الذي فيه الصبي، وختن وهو جالس، فأخرج صريرة فدفعها إلى الحجام، وصريرة إلى الصبي، وقام فدخل منزله فنظر الحجام إلى ما في الصريرة فإذا فيها درهم واحد، ونظرنا إلى صرة الصبي فإذا فيها درهم، وكنا قد رفعنا كثيراً مما قد افترش، وكان الصبي على منصته مرتفعة على شيء من الثياب المصبغة، فلم ينكر من ذلك شيئاً.

فقدم علينا من خراسان ابن خالة جدي فنزل على أبي، فلما كان يوماً من الأيام وقد صلينا المغرب قال لي أبي: خذ بيد ابن خالة جدك وامضِ به إلى جدك، فدخلت على جدي وهو قائم يصلي بعد المغرب، فجلستُ حتى فرغ، فقال: جاء أبو أحمد ابن خالتي؟ قلت: نعم، قال: قل له يدخل، فقلت ذلك له فدخل معي فجلس، ثم صاح بامرأة كانت تخدمه مسنة من سكانه، فجاءت بطبق خلاق وعليه خبز وبقل وخلٌّ وملح، ثم جاءت بغضارة من هذه الغلاظ فوضعتها بين أيدينا، وإذا فيها بصلية فيها لحم وسلق كثير، فجعلنا نأكل وهو يأكل معنا ويسأل أبا أحمد عمن بقي من أهلهم بخراسان في خلال ما نأكل، وكان ربما استعجم الشيء على أبي أحمد بالعربية فيكلمه جدي بالفارسية، وكان في خلال ذلك ونحن نأكل يضع القطعة اللحم بين يدي أبي أحمد وبين يديّ، ثم رفع الغضارة بيده فوضعها ناحية، ثم أخذ طبقاً إلى جنبه فوضعه بين أيدينا على الطبق وإذا فيه تمر بُرني وجوز مكسر، وجعل يأكل ونأكل، وفي خلال ذلك يناول أبا أحمد، ثم غسلنا أيدينا، كل واحد منا يغسل يده لنفسه.

وقال عبدوس العطار: وجهت بابني مع الجارية يسلم على أحمد بن حنبل، فرحب به وأجلسه في حجره يسائله، فأرسل فاتخذ له خبيصاً، فجاء به فوضعه بين يديه، وجعل يباسطه، وقال للجارية: كلي معه، ثم قام إلى بعض الفاميّين فجاء وفي ثوبه لوز وسكر، وأخرج منديلاً فشده فيه فدفعه إلى الخادم، وقال للصبي: اقرأ على أبي محمد السلام.

وقال المروذي: رأيت أحمد بن حنبل قد أعطى ختاناً درهمين وألقاها له في طشت.

وقال الميموني: كنت كثيراً ما أسأل أحمد عن الشيء فيقول: لبيك.

وقال المروذي: كان أحمد لا يجهل، وإن جُهل عليه احتمل، ويقول: يلقى الله، ولم يكن بالحقود، ولا بالعجول، ولقد وقع بين عمه وجيرانه منازعة، وكانوا يجيؤون إلى أحمد فلا يظهر لهم ميله مع عمه ولا يغضب لعمه، ويتلقاهم بما يعرفون من الكرامة، وكان كثير التواضع، يحب الفقراء، لم أر الفقير في مجلس أعزّ منه في

مجلسه، مائلاً إليهم، مقصراً عن الدنيا، تعلوه السكينة والوقار، إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر بل يقعد حيث انتهى به المجلس، وكان لا يمدُّ قدميه في المجلس ويكرم جليسه، وكان حسن الخلق، دائم البشر، ليِّن الجانب، ليس بفظٍ ولا غليظ، وكان يحب في الله ويبغض في الله، وكان إذا أحب رجلاً يحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، ولم يمنعه حبه أن يأخذ على يديه ويكفه عن الظلم أو الإثم أو المكروه إن كان منه، وكان إذا بلغه عن رجل صلاح أو زهد أو قيام بحق أو اتباع للأمر سأل عنه، وأحبَّ أن يجري بينه وبينه معرفة، وأحب أن يعرف أحواله، وكان رجلاً سطياً إذا كان شيء لا يرضاه اضطرب لذلك، يغضب لله ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، فإذا كان في أمرٍ من الدين اشتد له غضبه حتى كأنه ليس هو، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان حسن الجوار، ويؤذى فيصبر، ويحتمل الأذى من الجار، ولقد قال بعض جيرانه ممن بينه وبينه حائط: كان لي برجٌ فيه حَمَام، وكان يشرف على أحمد، فكنت أصعد وأنا غلام أشرف عليه، فمكث على ذلك صابراً لا ينهاني، فبينا أنا يوماً إذ صعد عمي فنظر إلى البرج مشرفاً على أحمد، فقال: ويحك أما تستحي تؤذي أبا عبد الله؟ قلت: فإنه لم يقل شيئاً لي: قال: فلست أبرح حتى تهب لي هذه الطيور، فما برح حتى وهبتها له فذبحها وهدم البرج.

وقال هارون بن سفيان المستملي: جئت إلى أحمد حين أراد أن يفرق الدراهم التي جاءته من المتوكل، فأعطاني مئتي درهم، فقلت: لا يكفيني، قال: ليس شيء ها هنا غيرها، ولكني أعمل بك شيئاً، أعطيك ثلاثة مئة تفرقها، قال: فلما أخذتها قلت: يا أبا عبد الله ليس والله أعطي أحداً شيئاً منها، فتبسم.

وقال محمد بن إبراهيم الأنماطي: كنت عند أحمد وبين يديه المحبرة، فذكر أحمد حديثاً فاستأذنته أن أكتبه من محبرته، فقال لي: اكتب يا هذا، فهذا ورع مظلم.

وقيل لأحمد: لم لا تصحب الناس؟ فقال: لوحشة الفراق.

وكان يأتي العرس والأملاك والختان، يجيب ويأكل، وإذا أحب رجلاً قال له: إني لأحبك.

وقال هارون بن عبد الله: جاءني أحمد في بيتي فرحبت به وقلت: ألك حاجة؟ قال: نعم، شغلت اليوم قلبي، قلت: بماذا؟ قال: جزت عليك اليوم وأنت تحدث الناس قاعد في الفيء، والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر، لا تفعل مرة أخرى، إذا قعدت فاقعد مع الناس.

وقال إسحاق بن هانىء: كنا عند أحمد في منزله ومعنا المروذي ومهنَّأ بن يحيى الشامي فدق داق الباب، وقال: المروذي ها هنا؟ وكان المروذي كره أن يعلم موضعه فوضع مهنَّأ بن يحيى أصبعه في راحته وقال: ليس المروذي ها هنا وما يصنع المروذي ها هنا، فضحك أحمد ولم ينكر ذلك.

أما حلمه وعفوه:

فكان يقول: أحللت المعتصم من ضربي.

وقد أخذ المتوكلُ العلويَّ الذي يسعى بأحمد إلى السلطان وأرسله إلى أحمد ليقول فيه مقالة للسلطان، فعفا عنه، وقال: لعله أن يكون له صبيان يحزنهم قتله.

وقال له رجل: إني قد اغتبتك فاجعلني في حلٍّ، قال: فأنت في حلٍّ إن لم تعد. فقيل له: تجعله في حلٍّ وقد اغتابك؟ فقال: ألم ترني اشترطت عليه؟

وصلى مع أحمد رجل يقال له: محمد بن سعيد الختلي فقال: يا أبا عبد الله نهيت عن زيد بن خلف أن يُكلم؟ فقال أحمد: كتب إلي أهل الثغر يسألوني عن أمره فأخبرتهم بمذهبه وبما أحدث، وأمرتهم أن لا يجالسوه، فاندفع الختلي إلى أحمد، فقال: والله لأردنَّك إلى محبسك ولأدقَّنَّ أضلاعك ضلعاً ضلعاً. . . في كلام كثير، فقال أحمد: لا تكلموه ولا تجيبوه بشيء. فما ردَّ عليه أحد كلمة، فأخذ أحمد نعليه وقام فدخل وقال: مروا السكان لا يكلموه ولا يردوا عليه شيئاً، فما زال يصيح حتى خرج فصار على حسبة العسكر ومات بالعسكر.

وذكر عند أحمد أبو حنيفة، فقال بيده هكذا ونفضها، فقيل له: كان بول أبي حنيفة أكثر من ملء الأرض مثلك، فنظر إلى القائل فقال: سلام عليكم، فلما كان في السحر جاءه القائل، فقال له: يا أبا عبد الله، إن الذي كان مني كان على غير تعمد، فاجعلني في حِلّ، فقال: ما زالت قدمي من مكانها حتى جعلتك في حِلّ.

وقال إبراهيم الحربي: كان أحمد بن حنبل كأنه رجل قد وُفق للأدب، وسُدد بالحلم، ومُلىء بالعلم، أتاه رجل يوماً فقال له: عندك كتاب زندقة؟ فسكت ساعة، ثم قال: إنما يحرز الرجل قبره.

وقال له رجل: يقولون إنك لم تسمع من إبراهيم بن سعد؟ فسكت.

وقيل له: كيف أكلُك؟ كيف جِماعك؟ كيف نومُك؟ فقال أحمد: لست بحصور، ولا روحاني. ولم يزد على ذلك.

(ذكر ماله ومعاشه وتعففه عن أموال الناس، وطلق نفسه عنها وقطع طمعه منها، وكرمه وجوده، وقبوله الهدية ومكافأته عليها

كان رحمه الله قد خلف له أبوه طرزاً وداراً يسكنها، وكان يكري تلك الطرز ويتعفف بكرائها عن الناس، وكان يقول: أنا أذرع هذه الدار التي أسكنها وأخرج الزكاة عنها في كل سنة، أذهب في ذلك إلى قول عمر بن الخطاب في أرض السواد.

وقيل له: يا أبا عبد الله هذا العقار الذي أنت تستغله وتسكن في دار منه كيف سبيله عندك؟ فقال: هذا شيء ورثته عن أبي، فإذا جاءني أحد فتصحح أنه له خرجت عنه ودفعته إليه.

وكان يقول: هذه الغلة ما تكون قوتنا، وإنما أذهب فيه إلى أن لنا فيه شيئاً. فقيل له: لو تركتَ الغلة وبضعتها صديقاً لك كان أحسن، فقال أحمد: هذه سوء، وهذه الغلة أعجب إليّ وهي لا تُقيمُنا وإنما آخذها على الاضطرار.

وجاءه بعض سكانه بدرهم ونصف، فلما وقع في يده قام ودخل منزله وبان السرور في وجهه.

وكان رحمه الله ربما احتاج إلى اللِّقاط، وخرج يوماً في اللِّقاط فلقط شيئاً يسيراً، فقيل له: قد أكلت أكثر مما لقطت، فقال: رأيت أمراً استحييت منه، رأيتهم يلقطون فيقوم الرجل على أربع، وكنت أزحف إذا لقطت.

وقال أحمد: خرجت إلى الثغر على قدمي فالتقطنا، وقد رأيت أقواماً يفسدون مزارع الناس، لا ينبغي لأحد أن يدخل مزرعة رجل إلا بإذنه.

وكان رحمه الله ربما احتاج فينسخ بالأجرة، وقد أعوزته النفقة في سفره فأكرى نفسه من الجمالين.

أما تعففه عن أموال الناس وطلق نفسه عنها وقطع طمعه منها:

فإنه لما خرج إلى عبد الرزاق باليمن انقطعت به النفقة، فأكرى نفسه من الجمالين إلى أن وافى صنعاء، وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواساة فلم يقبل من أحد شيئاً.

وقال عبدالرزاق: قدم علينا أحمد ها هنا فأقام سنتين إلا شيئاً، فقلت له: خذ هذا الشيء، فانتفع، به فإن أرضنا ليست بأرض متجر ولا كسب، وذلك دنانير، فقال أحمد: أنا بخير، ولم يقبل مني.

ورهن نعله عند خباز على طعام أخذه منه عند خروجه من اليمن، واكترى نفسه من أناس من الجمالين عند خروجه، وعرض عليه عبد الرزاق دراهم صالحة فلم يقبلها.

ولما خرج أصحابه تخلف من بعدهم، وقال لبقال كان له عنده درهم: خذ هذا النعل فإن بعثت إليك من صنعاء بالدرهم، وإلا فالنعل بالدرهم أرضيت؟ قال البقال: نعم، فأخبر البقال ابن أخت عبد الرزاق، فقال: ويحك لأي شيء أخذت النعل؟.

وذكر عبد الرزاق أحمد فدمعت عيناه، وقال: قدم علينا وبلغني أن نفقته نفدت، فأخذت عشرة دنانير وأقمته خلف الباب يوماً ما معه ومعي أحد وقلت له: لا يجتمع عندنا الدنانير، وقد وجدت عند النساء عشرة دنانير فخذها فأرجو أن لا تنفقها حتى يتهيأ عندنا شيء، فتبسم، وقال: لو قبلت شيئاً من الناس قبلت منك. ولم يقبل.

وقال حمدان بن سنان الواسطي: قدم علينا أحمد بن حنبل ومعه جماعة ففدت نفقتهم فبررتهم فأخذوا، وجاءني أحمد بن حنبل بفروة فقال: قل لمن يبيع هذه فجئني بثمنها فأتسع به، فأخذت صرة دراهم فمضيت بها إليه فردها، فقالت امرأتي: هذا رجل صالح لعله لم يرضها فأضعفها، فأضعفتها فلم يقبل، وأخذ الفروة مني وخرج.

وقال رفيق له بواسط: جاء أبو عبد الله بجبة يبيعها في شدة البرد، فلم أزل به

حتى صرفته عن بيعها، فجئت إلى يزيد بن هارون فقلت له: إن أحمد بن حنبل جاءني بجبة لأبيعها له في هذا البرد، فقال لجاريته: زني مئة درهم وهاتيها، فدفعها إليّ وقال: ادفعها إليه، فجئت بها إليه وقلت: هذه بعث بها إليك أبو خالد، فقال أحمد: إني لمحتاج إليها، وإني لابن سبيل، ولكن لا أعوِّد نفسي هذا، ردها إليه، فدفع إليَّ جبته فبعتها له.

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: جاءتني حُسن فقالت: يا مولاي قد جاء رجل بِتِلِّيسةٍ فيها فاكهة يابسة وهذا الكتاب، قال صالح: فقرأت الكتاب فإذا فيه: يا أبا عبد الله أبضعت لك بضاعة إلى سمرقند فوقع فيها كذا وكذا، ورددتها فوقع فيها كذا وكذا، وقد بعثت بها إليك أربعة آلاف درهم وفاكهة، أنا لقطتها من بستاني ورثته من أبي، وأبي من أبيه، قال: فجمعت الصبيان، فلما دخلنا عليه بكيت، وقلت: يا أبت ما ترق لي أن آكل الزكاة، ثم كشفت عن رأس الصبيان وبكيت، فقال: دع حتى أستخير الله الليلة، فلما كان من الغد قال: يا صالح صُني فإني قد استخرت الله تعالى الليلة، فعزم لي أن لا آخذها، قال: وفتح التِلِّيسَةَ وفرَّقها على الصبيان، وكان عنده ثوب عشاري فبعث به إليه ورد المال. قال صالح: فبلغني أن الرجل اتخذه كفناً.

وسرقت ثيابه بمكة فأغلق على نفسه الباب أياماً فسأل عنه أصحابه فوجدوه على هذه الحال، فقالوا له في ذلك، فقال: سُرقت ثيابي، فقال أحدهم: معي دنانير، فإن شئت خذ قرضاً، وإن شئت صلة، فأبى أن يفعل، فقال له: اكتب لي بأجرة قال: نعم، فأخرج له ديناراً فأبى أن يأخذه، وقال: اشتر لي ثوباً واقطعه نصفين، يتزر بنصفه ويرتدي بالنصف الآخر، وجئني ببقيته. ففعل فكتب له ورقة بهذا الدنيار.

وكان هو وشيخ من أهل الربض يسمعان على ابن عيينة، ففقد الشيخ أحمد أياماً، فدلَّ على موضعه فجاءه، فإذا هو في شبه الكهف على بابه قصب، فقال: سلام عليكم، فقال أحمد: وعليكم السلام، فقال له: ادخل، فقال أحمد: لا.. ثم قال: أدخل؟ فدخل فإذا هو جالس وعليه قطعة لبد خَلِق، فقال: يا أبا عبد الله لم حجبتني؟ قال: حتى استترت. فقال له: ما شأنك؟ قال: سُرقت ثيابي. فبادر الشيخ إلى منزله

فجاء بصرة فيها مئة درهم فعرضها عليه فامتنع، وسأله أن يقبلها قرضاً فأبى حتى بلغت عشرين درهماً، كل ذلك يأبى عليه فقام مولياً، فقال: ما يحل لك أن تقتل نفسك، أعرض عليك ولا تقبل! فقال أحمد: ارجع، فرجع الشيخ فقال: ألست قد سمعت معي على ابن عيينة سماعاً كثيراً، فقال: بلى. فقال: أتحب أن أنسخه لك؟ قال: نعم. فقال أحمد: اشترِ ورقاً وجئني به، وكتب بدراهم ذكر مبلغها، فاكتسى منها ثوبين باثني عشر درهماً وأخذ الباقي نفقة.

ودخل على مروزي ثم خرج من عنده فقيل له: في أيِّ شيء جاءك أحمد؟ فقال: هو لي صديق وبيني وبينه سر، وتلكأ أن يخبر، فألحوا عليه فقال: كان استقرض مني مئتي درهم فجاءني بها، فقلت له: يا أبا عبد الله ما دفعتها وأنا أنوي أن آخذها منك، فقال أحمد: وأنا ما أخذتها إلا وأنا أنوي أن أردها إليك.

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: دخلت على أبي في أيام الواثق والله يعلم في أي حالة نحن، وقد خرج لصلاة العصر، وكان له لبد يجلس عليه، وقد أتت عليه سنون كثيرة حتى قد بلي فإذا تحته كتاب كاغَد، وإذا فيه: بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه من الضيق وما عليك من الدَّين، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان لتقضي بها دينك وتوسع بها على عيالك، وما هي من صدقة ولا زكاة، وإنما هو شيء ورثته من أبي. فقرأت الكتاب ووضعته، فلما دخل قلت: يا أبت ما هذا الكتاب فاحمّر وجهه، وقال: رفعته منك. ثم قال: تذهب بجوابه، فكتب إلى الرجل: وصل كتابك إليَّ ونحن في عافية، فأما الدَّين فإنه لِرَجل لا يرهقنا، وأما عيالنا فهم في نعمة الله والحمد لله. فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل الكتاب، فقال: ويحك، لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء ورمى به مثلاً في دجلة كان مأجوراً، لأن هذا الرجل لا يعرف له معروف، فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك فردَّ عليه الجواب بمثل ما ردَّ عليه، فلما مضت السنّة أو أقل أو أكثر ذكرناها فقال لنا: لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت.

وجاءه ابن الجريري بألف دينار وقال: هذه من ميراثي من أبي فاشتر بها غلةً

للصبيان، فأبى أن يقبلها وكان يكرمه، فلما أبى أن يقبلها قال له: لا بدّ أن تقبلها وألحّ عليه، فقال أحمد: إذا كان لك حاجة لا تجيء إلينا، فإن أردت أن تسألني عن شيء فأرسل لي، ثم قام ودخل منزله وأحصى ما رده وهو في العسكر، فإذا هو سبعون ألفاً.

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: قال لي النساء: قل لأبيك ليس عندنا دقيق، فقلت له، فقال: الساعة، ثم أبطأ عليهم فعاودوني، فقلت له، فقال: الساعة. فبينا نحن على ذلك إذا برجل يدق الباب، فخرجت إليه فإذا رجل خراساني يشبه الصبح على كتفه عصا فيها جراب، فقلت له: حاجتك؟ فقال: أحمد بن حنبل، فدخلت على أبي فأخبرته، فقال: عُد إليه وقل له: فيما قصدت؟ في مسألة في حديث؟ فقال: ما قصدت مسألة ولا حديثاً. فقال: أدخله. فدخل الرجل فوضع العصا والجراب، ثم قال: أنت أحمد بن حنبل؟ فقال: نعم. قال: أنا رجل من أهل خراسان، مرض جار لي فعدته، فقلت له: هل لك من حاجة؟ فقال: نعم، هذه خمسة آلاف درهم تأخذها وتوصلها إلى أحمد بن حنبل بعد وفاتي، فقد قصدتك بها من خراسان، فقال أحمد: بيننا وبينه قرابة؟ قال: لا. قال: فبيننا وبينه رحم؟ فقال: لا. قال: فبيننا وبينه نعمة يربُّها؟ قال: لا. قال: ضمها رحمك الله، فرادَّهُ الرجل، فأغلظ له أبي فحمل المال وانصرف، فلما كان بعد مدة كان جالساً بين الكتب فنظر فيها فرفع رأسه، فقال: أتدري يا صالح منذ كم كان الخراساني عندنا؟ قلت: لا، قال: له اليوم إحدى وستون يوماً، هل جعتم فيها، أو فقدتم شيئاً.

ومرض مرة فعاده الناس، وعاده علي بن الجعد فجعل عند رأسه صرة، فقال فُوران: إن علياً قد جعل عند رأسك صرة، فقال أحمد: كما رأيته فاذهب فردها إليه. قال: فرددتها إليه.

وقال له فوران يوماً: عندي خف أبعث به إليك؟ فسكت، فلما عاد إليه قال: لا تبعث بالخف فقد شغل قلبي عليّ.

ووجه رجل صيني بكاغَدٍ من الصين إلى جماعة من المحدثين، ومنهم أحمد بن حنبل، وجَّه إليه بقِمَطْرٍ فردَّه.

واتخذ سعدويه طعاماً للمحدثين ودعاهم وهم يسمعون منه، ففطن أحمد لذلك فقال: قد قرب وقت الصلاة، وخرج، فما اجترأ أحد منهم أن يكلمه، فجاء إلى سقاية فيها حُبُّ ماء فأخرج فتيتاً معه في خرقة، وأخذ كوزاً من الحُبّ، وجعل يستفُّه ويشرب عليه الماء، ثم جاء وقد طعموا فقعد يكتب معهم.

وقال أحمد أيضاً لأصحاب الحديث: هل منكم أحد منزله بالكرخ؟ فقال له فتى: أنا يا أبا عبد الله، فقال: اثبت فإن لنا حاجة. فأخرج أبو عبد الله دراهم وقال: اشتر لنا بهذه ورقاً حتى تجيء به معك إذا جئت، فاشترى الفتى ورقاً، وحشا في دسوت الورق دنانير وجاء به إلى أحمد فأعطاها إياه، وانقطع الفتى عن المجيء، ففتح أبو عبد الله الورق فجعلت الدنانير تتناثر، فجمعها وجعل يقول لأصحاب الحديث: من منكم يعرف الفتى الذي اشترى لي الورق؟ فقال له رجل: أنا أعرف منزله. قال: فتلبث ها هنا فإن لي حاجة. وحمل أبو عبد الله الدنانير ومضى معه، فلما صار إلى قطيعة الربيع إذا الفتى قاعد، فقال له الرجل: هذا صاحبك يا أبا عبد الله، فقال أحمد: انصرف أنت، ثم جاء فسلَّم ووضع الدنانير في حجره وانصرف.

وهذا الباب واسع جداً وبهذا القدر كفاية.

أما كرمه وجوده:

فقد وقع لأحمد مقراض في البئر فجاء ساكن الدار فأخرجه، فناوله أحمد مقدار نصف درهم أو أكثر أو أقل، فقال الرجل: المقراض يساوي قيراطاً لا آخذ شيئاً، فخرج، فلما كان بعد أيام قال له: كم عليك من كراء الحانوت؟ قال: كراء ثلاثة أشهر، وكراؤه في كل شهر ثلاثة دراهم، فضرب على حسابه وقال: أنت في حل.

وقال أبو سعيد المؤدب: كنت آتي أحمد بن حنبل فربما أعطاني الشيء وقال:

أعطيتك نصف ما عندنا، فجئت يوماً فأطلت القعود فخرج ومعه أربعة أرغفة، فقال: يا أبا سعيد هذا نصف ما عندنا. فقلت: يا أحمد هذه الأربعة الأرغفة أحب إليَّ من أربعة آلاف من غيرك.

وقال يحيى بن هلال الوراق: جئت إلى ابن نُمير فشكوت إليه، فأخرج إليَّ أربعة دراهم، وقال: هذا نصف ما عندنا وجئت إلى أحمد بن حنبل فأخرج إليَّ أربعة دراهم وقال: هذه جميع ما أملك.

وقال هارون المستملي: قلت لأحمد: ما عندنا شيء، فأعطاني خمسة دراهم، وقال: ما عندنا غيرها.

وقال المروذي: كان أحمد ربما واسى من قوته، جاءه رجل فشكا إليه فقال له: ما عندنا إلا هذا الجذع، فجيء بحمال يحمله، فأخذ الجذع فباعه بتسعة دراهم ودانقين.

وكان أحمد كثير الحياء كريم الأخلاق، يعجبه السخاء.

وقال جعفر بن محمد النَّسائي: قال لي أحمد يوم عيد: أُدْخُل، فدخلت فإذا مائدة وقصعة على الخِوان، وعليها عُراق وقدر إلى جانبه. وقال لي: كُلْ، فلما رأى ما بي قال: إن الحسن قال: والله لتأكلن، وكان ابن سيرين يقول: إنما وضع الطعام ليؤكل، وكان إبراهيم بن أدهم يبيع ثيابه وينفقها على أصحابه، وكانت الدنيا أهون عليه من ذلك، وأومأ إلى جذع مطروح فانبسطت وأكلت.

وقال علي بن يحيى: صليت يوم الجمعة إلى جنب أحمد بن حنبل، فلما سلم الإمام قام سائل يسأل الناس، فأخرج أحمد قطعة فدفعها إليه، فقال له رجل: ناولني قطعتك ولك بها درهم، فما زال يزيده حتى بلغ خمسين درهماً، فقال له السائل: لا أعطيك إني لأرجو فيها ما ترجو.

وقال المروذي: كنت مع أبي عبد الله في طريق العسكر ونزلنا منزلاً، فأخرجتُ رغيفاً ووضعت بين يديه كوز ماء، فإذا بكلب قد جاء بحذائه يحرك ذنبه، فألقى إليه

لقمة، وجعل يأكل، ويلقي إليه لقمة، فخفت أن يضر بقوته، فصحت به لأنحيه من بين يديه، فنظرت إلى أحمد قد احمّر وقد تغيَّر من الحياء، وقال: دعه، فإن ابن عباس قال: لها أنفس سوء.

أما قبوله الهدية ومكافأته عليها:

فقد أهدى إليه رجل وُلد له مولود خِوانَ فالوذج، فكافأه سكراً بدراهم صالحة.

وأهدى إليه رجل فاكهة فبعث إليه ثوباً.

وأهدى إليه رجل ماء زمزم فأرسل إليه سويقاً وسكراً. وأرسل هدية بخمسة دراهم إلى صبيان رجل، وقال: إنه وهب لسعيد شيئاً.

وأهدى إلى أحمد بعض جيرانه شيئاً من جوز وزبيب وتين في قصعة تساوي ثلاثة دراهم أو أقل، فأعطاه عنها ديناراً، اشترى به له سكراً وتمراً وأرسلها إليه بالليل.

وأهدي إليه ثوب فأرسل به إلى السوق فقومه، فقوِّم بنيف وعشرين درهماً، وكان المُهدي جاء يطلب الحديث فحجبه أحمد حتى اشترى له ثوبين ومقنعتين وبعث بها إليه، ثم أذن له فحدثه.

وأرسل إليه صديق له خلال بَرْنِيٍّ، فبعث أحمد إليه بثوب فجاءه المُهدي فقال: غممتني يا أحمد، فقال أحمد: وأنت غممتني أيضاً فيما بعثت به إلينا.

(ذكر زهده، وبيته وآلاته، ومطعمه، ورفقه بنفسه، ولباسه، وورعه، وإعراضه عن الولايات)

أما زهده رحمه الله:

فقال أبو داود: ما رأيت أحمد ذكر الدنيا قط.

وقال عمر بن سليمان المؤدب: صليت مع أحمد التراويح، فلما أوتر رفع يديه إلى ثدييه، وما سمعنا من دعائه شيئاً، ولا ممن كان في المسجد، وكان فيه سراج على الدرجة لم يكن فيه قنديل ولا حصير ولا خلوق.

وسئل بعضهم فقيل له: أحمد بن حنبل هو إمام؟ فقال: إي والله، صبر على الفقر سبعين سنة.

وقيل لأحمد بن حنبل: إنَّ أحمد الدَّوْرَقي أعطى ألف دينار؟ فقال أحمد: ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾.

وكان يقول: الفائز من فاز غداً ولم يكن عنده لأحدٍ تبعة. وكان أيام الغلاء يجيء بغزل إلى بعض أصحابه ويستره فيبيعه له، فكان ربما باعه بدرهم ونصف، وربما باعه بدرهمين، فتخلف مرة فقال له: يا أبا عبد الله لم تجيء أمس؟ فقال: أم صالح اعتلّت، ودفع إليه غزلاً فباعه بأربعة دراهم، فجاء بها، فأنكر ذلك وقال: لعلك زدت فيه من عندك؟ فقال: ما زدت فيه من عندي، ولكن كان غزلاً دقيقاً.

ودخل بيت ابنه صالح وقد غيّر سقفاً له فخرج وقال: لا أدخل حتى تغيروه.

واشترى صالح جارية فشكت إليه أهلَه، فقال: قد كنتُ أكرهُ لهم الدنيا، وقد بلغني عنك الشيءَ، فقالت: يا عم ومن يكره الدنيا غيرك؟ فقال لها: شأنك إذاً.

وقال صالح: كنا إذا اشترينا الشيء نستره عنه كي لا يراه فيوبخنا على ذلك.

ودخل إليه بعض أهل الحديث فقال له رجل منهم: ما هذا الغم يا أبا عبد الله؟ الإسلام حنيفية سمحة، بيت واسع، فنظر إليهم وكان مضطجعاً، فلما خرجوا قال للمروذي: انظر إلى هؤلاء ما أريد أن يدخل عليَّ منهم أحد.

وقال أحمد يوماً لإسحاق بن هانىء: بَكِّر حتى تعارضني في شيء من الزهد. قال: فبكرت إليه وقلت لأم ولده أعطيني حصيراً ومخدة فبسطته في الأرض، فخرج أحمد ومعه الكتب والمحبرة، فنظر إلى الحصير والمخدة، فقال: ما هذا؟ قلت: لتجلس عليه، فقال: ارفعه، الزهد لا يحسن إلا بالزهد، فرفعته وجلس على التراب.

وقالت له أم ولده: أنا معك في ضيق، ومنزل صالح يأكلون ويفعلون، فقال لها: قولي خيراً، فخرج الصبي يبكي، فقال له أحمد: أي شيء تريد؟ قال: زبيب، فأخذ له من البقال بحبة.

ومس أحمد رجلي ابنه عبد الله فإذا هما لينتان، فقال: ما هذه الرجلان، لم لا تمشي حافياً حتى تصير رِجلاك خشنتين؟.

وكان يقول: طعام دون طعام ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل.

وكان يقول: أَسَرُّ أيامي يومَ أُصبح وليس عندي شيء.

وأما بيته وآلاته ومطعمه:

فقال علي بن المديني: دخلت بيت أحمد فما شبهته إلا بما وصف من بيت سُويد بن غَفَلة من زهده وتواضعه.

وقال الميموني: كان منزله ضيقاً صغيراً، وكان ينام في الحرِّ في أسفله، ورأيت موضع مضجعه، وفيه شاذَكونةٌ وبَرْذَعَةٌ، قد غلب عليها الوسخ.

وكان يقول للمجصص: جصصه باليد ولا تجصصه بالمالج. قال المجصص: فلما فرشته بالطوابيق وفرغت استحسنه، وقال: هذا نظيف يصلي عليه الرجل، وليس فيه باريَّة ولا حصير، ورفع إليّ كف تمر.

وكان في بهو بيته حصيراً، وكتبه مطروحة حواليه، وحب خزف، وكان له طاق في منزله قد علق عليه مِسْحاً.

وأما مطعمه:

فكان ربما يأخذ الكِسَر، فينفض الغبار عنها، ويصب عليها الماء حتى تبتل ثم يأكلها بالملح، وما روي قط اشترى رُماناً ولا سفرجلاً ولا شيئاً من الفاكهة، إلا أن يكون يشتري بِطيخة فيأكلها في خبز، أو عنباً أو تمراً، فأما غير ذلك فما روي قط اشتراه، وربما خبز له، فيجعل في فخارة عدساً وشحماً وتمرات شهريز، فيخص الصبيان بقصعة، فيصوت ببعضهم فيدفعه إليهم فَيَتَحيَّلُونَ ولا يأكلون، وكان كثيراً ما يأتدم بالخل، وكان يُشترى له شحم بدرهم فكان يأكل منه شهراً، فلما قدم من عند المتوكل أَدْمَنَ الصوم، فجعل لا يأكل الدسم، فكأنه جعل على نفسه إن سَلِمَ أن لا يفعل ذلك.

وقال النيسابوري صاحب إسحاق بن إبراهيم: قال لي الأمير: إذا جاؤوا بإفطاره فأَرِنيهِ، فجاؤوا بإفطاره برغيفين خبز وخيارة، فأريته الأمير، فقال: هذا لا يجيبنا إذا كان هذا يقنعه.

وقال أبو عبد الله في يوم عيد: اشترَوا لنا أمسِ باقلاء، فأي شيء كان به من الجودة.

ودعاه أبو بكر الأحول في ختان ابنه، فأكل حتى جاؤوا بالفالوذج فامتنع، فقال له أبو بكر: يا أبا عبد الله، كأنه يسأله أن يأكل، فقال: هو أرفع الطعام، ثم أكل لقمة ولم يزد عليها.

واعتلَّ فجيء إليه بطبيب، فدخل عليه فقال: ما حالك؟ قال: احتجمت أمس، قال: وما أكلت؟ قال: خبزاً وكامخاً. قال: يا أبا عبد الله تحتجم وتأكل خبزاً وكامخاً، قال: فما آكل؟.

ووصف له وهو مريض دهن اللوز، فأبى أن يشتريه، فلما اشتد به المرض جعل له اللوز، فلما علم به نحّاه ولم يشربه.

وقال مرة: وجدت البرد في أطرافي، ما أراه إلا من إدامتي أكل الخل والملح.

وكان لا يطرح له في قدر فلفلاً ولا ثوماً.

وإذا أكل يحمد الله في كل لقمة ويقول: أكل وحمد خير من أكل وصمت.

أما رفقه بنفسه ولباسه:

فقد اعتلَّ أحمد بن حنبل فتعالج، وكان يُشترَى له كل يوم في الشتاء العروق أصول الشوك، ويوقد له، ويصير في كانون ضيق فيَصْطَلِي به.

وكان لا يأكل الخبيص بملعقة بل كان يضع في كفه ويسفه سفاً، وكان يأكل خبز الرقاق.

وأما لباسه:

فقال الميموني: كانت ثيابه بين الثوبين، تساوي ملحفته خمسة عشر درهماً، وكان ثوبه يؤخذ بالدينار ونحوه، لم يكن له رقة تنكر ولا غلظة تنكر، وكانت ملحفته مهدية.

وقال حمدان بن علي: لم يكن لباسه بذلك إلا أنه قطن نظيف، وكان بأَخَرَةٍ في لباسه أجود، لِما كان يستعين بالغلة، لمَّا استغنى ولده عنها.

وقال الفضل بن زياد: رأيت عليه في الشتاء قميصين وجبة ملونة بينهما، وربما لبس قميصاً وفروا ثقيلاً، وربما رأيت عليه في البرد الشديد الفرو فوق الجبة، ورأيت عليه عمامة فوق القلنسوة وكساء ثقيلاً.

وقال جعفر بن محمد: رأيت عليه جبة برد معقدة وقلنسوة وعمامة، وكان في الشتاء أحياناً يلبس الفرو وأحياناً الجبة، وربما جمعهما.

وقال حنبل: كان يلبس سراويل فيشده فوق السرة ويرتدي بقميصه.

وقال الميموني: رأيت أبا عبد الله عليه إزار متشح به، وعليه إزار آخر ارتدى به، وما رأيت عليه طيلساناً قط ولا رداءً، وإنما هو إزار صغير ظننته سداسياً.

وقال ابن عبد الحميد: رأيته يوماً صائفاً عليه قميص مشدود الإزار، وما رأيته قط مرخي الكمين، يعني في المشي.

وقال أبو داود: كنت أرى إزار أحمد محلولة.

وقال صالح: كانت لأبي قلنسوة قد خاطها بيده، فيها قطن، فإذا قام بالليل لبسها.

وقال غيره: رأيت قلنسوة أحمد مرقعة فيها برد وبياض مروي. وكانت له جبة خضراء فيها رقعة بيضاء من صوف من غير لونها، وأراد أن يرقع قميصه فلم يكن عنده رقعة، فقال: أرقعه من إزاري، فقطعوا له من إزاره فرقعوه. ولقد احتاج غير مرة إلى خرق فكان يقطع من إزاره، وكان له خف له سبع عشرة سنة، وفيه خمسة مواضع أو ستة، الخرز فيه من برا، وكان نعله صغيراً.

وجاءه المروذي بخف فبات عنده ليلة، فلما أصبح قال له: تفكرت في أمر هذه الخف، فقال: لم؟ قال: أراه عامة الليل قد شغل علي قلبي، قد عزم لي أن لا ألبسه، كم ترى بقي، إن الذي مضى أكثر مما بقي. فدفع إليه خفاً خلقاً، فقال: اضرب على هذا رقاعاً وسدد خروقه، ثم قال: هذا الخف عندي من ست عشرة سنة، وإنما قد صار إليّ وهو لبيس، وهذا قد شغل علي قلبي، يعني الجديد.

وكانت سراويله فوق كعبين، وكان يلبس كساءً مرقعاً، وإذا أراد أن يصلي ربما وضع طرفه تحت قدميه.

وأما ورعه وإعراضه عن الولايات:

أما ورعه: فقد حضره قوم من أهل الحديث من إخوانه، فاشترى بما كان عنده وأطعمهم وصبر هو على مقدار ربع سويق ـــ وهو الكيلجة ـــ خمسة عشر يوماً

بمعسكر المتوكل، يعتصم بذلك حتى أتته النفقة من بغداد، ولا يذوق من مائدة المتوكل.

وقسم المأمون مالاً على أصحاب الحديث، وقال: إن فيهم ضعفاء، فما بقي منهم أحد إلا أخذ إلا أحمد بن حنبل، فإنه أبى، وكان قبل موته بليلتين عنده غلام اشتراه عمه، فذهب الغلام يروِّحه فنهاه أحمد.

وقال عبد الله له: يا أبت عندنا شيء قد بقي مما كان يبرنا به المتوكل أفأحج منه؟ قال: نعم. فقال له: فإذا كان هذا عندك هكذا فلم لم تأخذ؟ قال: يا بني ليس هو عندي حرام، ولكني تنزَّهت عنه.

وكان يقول: كنت أذرع هذه الدار التي كنت أسكنها وأُخرج الزكاة عنها في كل سنة، أذهب إلى قول عمر في أرض السواد.

ورهن سطلاً عند فاميٍّ بمكة، فأخذ منه شيئاً يتقوته، فجاء فأعطاه فكاكه، فأخرج إليه سطلين فقال: انظر أيهما سطلك فخذه قال: لا أدري، أنت في حلٍّ منه ومما أعطيتك ولم يأخذه، قال الفامي: والله إنه لسطله وإنما أردت أن أمتحنه فيه.

وكان إذا نظر إلى نصراني غمض عينيه، فقيل له في ذلك، فقال: لا أقدر أن أنظر إلى من افترى على الله وكذب عليه.

وكان لا يحدث إلا من كتاب ولا يحدث من حفظه إلا بأقل من مئة حديث، وكان يقول: قد أنفقت على هذا المخرج خمسة وستين درهماً بدين، وإنما لي فيه ربع الكراء. فقيل: لم لم تدع عبد الله ينفق عليه؟ قال: خشيت أن يفسد علي الدراهم.

وأتى عليه ثلاثة أيام ما طعم فيها، فبعث إلى صديق له فاستقرض له شيئاً فعرفوا في البيت شدة حاجته إلى الطعام، فخبزوا بالعجلة، فلما وضع بين يديه قال: كيف خبزتم هذا بسرعة؟ فقالوا: كان التنور في بيت صالح مسجّراً فخبزنا بالعجلة. فقال: ارفعوا. ولم يأكل، وأمر بسد بابه إلبى باب ابنه صالح. وقال وهو في مرضه الذي مات فيه لأم ولده: من قال لك أن تخبزي ثم شيئاً؟ وقد كانت خبزت مرة قبل تلك،

فقال لها: ومن يأكله؟ فلم يأكل منه شيئاً يعني ببيت صالح ولده.

وقال أبو بكر المَرُّوذي: قال لي ونحن في موضع: ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ ثم قال: قد سكنا ونحن فيها، فأرسل من يشتري له أبزاراً للقدر بثلاثة دراهم، وأبزاراً أيضاً بقطعة أخرى على حدة، وقال: لا تخلطه. فاختلط فجاء به إليه فأخبره أنه اختلط، فقال: رده وخذ القطع. فرده وأخذ القطع فطرحها في دراهم الجارية لما اشتبه عليه.

وأعطى رجلاً يوماً قطعة فقال: اشتر لي بها باقلاء وماءه، وأعطت الرجلَ جاريتُه حُسن قطعة فقالت: اشتر لي بها أيضاً باقلاء، فقال: اشتر للصبيان زيتاً وباقلاء، ففضل حبة أو حبتان من قطع الصبيان، فقلت لصاحب الباقلاء: أعطني به زيتاً فصبه على الباقلاء الذي أخذه لأحمد، فلما جاء به وضعه بين يديه، فنظر أثر الزيت، فقال: من أين هذا؟ فقال: فضل من قطع الصبيان حبة، فصببت لك بها زيتاً. فقال: من أمرك بهذا، ارفع، ولم يأكله.

وقال مرة لإسحاق النيسابوري: خذ من أم علي ما تعطيك، وأم علي بنت أحمد بن حنبل، فجاءها إسحاق فأعطته دجاجة، وقالت: إن أبي يريد أن يحتجم وليس معه شيء، فقال: أعطيه الدجاجة يبيعها فإني محتاج إلى الحجامة، فأعطي إسحاق بها درهماً ودانقين، فردها ولم يبعها، فلما صار إلى القنطرة فإذا عبد الله جالس في دكان، فدعا إسحاق وقال: أي شيء هذا؟ فقال إسحاق: أعطتني أم علي أبيعها، فقال: كم أعطيت بها؟ فقال: درهم ودانقين، فقال: بعنيها بدرهم ونصف، فأعطاه درهماً ونصفاً وأخذها منه، فلما صار إلى أحمد قالت أم علي: بعتها بكم؟ قال: بدرهم ونصف، فقالت: يسير، فقال: أعطوني درهماً ودانقين في السوق، فقال أحمد: ممن بعتها؟ قال له: من عبد الله فأخذ الثمن من أم علي، وقال: اردها. فجاء إلى عبد الله فقال له: ردها فقد صاح علي أبوك، قال: فلم قلت له؟ فردها.

وكانت لأم عبد الله بن أحمد دار في الدرب يأخذ منها درهماً بحق ميراثه،

فاحتاجت إلى نفقة فأصلحها عبد الله، فترك أحمد الدرهم الذي كان يأخذه، وقال: قد أفسده عليّ.

ومرض فوصف له الطبيب قرعة تشوى ويسقى ماءها، فقال: لا تُشوى فى منزل صالح، ولا في منزل عبد الله، فمضى بها المروذي فشواها فجاء بها.

واشترى له رجل سمناً بقطعة فجاء به على ورقة بقل، فأخذ السمن وأعطاه الورقة، وقال: ردها.

وبعث رجلاً يشتري له بقطعة باقلاء على خبز مثرود، فجاء بباقلاء كثير فقال أحمد: هذا كثير؟ فقال الرجل: كان باقلانيان يبيعان مضارة رخيصاً. فقال: رده عليه، وادفع الخبز والباقلاء والقطعة عليه وتعال.

وبات عند روح بن عبادة وخبزه في كمه ويشرب من ماء النهر، فجاء يحيى بن أكثم في ضِبْنَة فجلس بين يديه وجعل يسائله وهو مطرق، فلما رآه لا يقبل عليه قام وتركه.

وجاءه رسول من داره فقال: إن أبا عبد الرحمن عليل واشتهى الزبد، فناول الرسول قطعة وقال: اشتر بها زبداً، فجاء به على ورق سلق، فلما نظر إليه قال: من أين هذا الورق؟ فقال: من عند البقال، فقال: استأذنته في ذلك؟ قال: لا، قال: فرده.

وولد له مولود فأهدى إليه صديق له شيئاً، ثم أتى على ذلك أشهر وأراد الخروج إلى البصرة، فطلب منه أن يكتب إلى المشايخ، فقال: لولا الهدية لكتبت لك.

وجاءه رجل بدواء ليجعله على أثر الضرب الذي في ظهره، فأخذه ثم رده، فقال له: لم؟ فقال: أنتم تسمعون مني.

وسقف له سطح الحاكة، وجعل مسيل الماء إلى الطريق، فبات تلك الليلة، فلما أصبح قال: ادعوا لي النجار يحول الميزاب إلى الدار. فدعي فحوله.

وقال ليحيى بن معين: إنك تقول: حدثني إسماعيل بن عُلَيَّة، فلا تفعل فإنه بلغني أنه كان يكره أن ينسب إلى أمه، فقال يحيى: قبلنا منك يا معلم الخير.

وقال لرجل رهاوي: ما فعل الرجل الذي عندكم بحران الجوهري، عنده علم؟ فقلت: ما أعرف بحران جوهرياً نكتب عنه، فقال: بلى، صاحب حفص بن غيلان، قال: ما أعرفه، قال: يغفر الله لك له بنون، قلت له: لعلك تريد البومة؟ قال: إياه أعني، كتبت عنه فإنه ثقة.

وسئل عن طلاق السكران فقال: سلوا عنه غيري. وأوصى أن يكفَّر عنه يمين واحدة، وقال: أظن أني حنثت فيها.

وكان كثيراً ما يقول إذا سُئل: لا أدري، وكان يقول: ربما أقمت في المسألة ثلاث سنين قبل أن أعتقد منها شيئاً، وكان يسأل عن المسألة وهو يعرف الأقاويل فيها فيجيب بلا أدري، وذلك أنه يسأل عن اختياره فيذكر الاختلاف فقط، ويقول: لا أدري.

وأشار رجل إلى جدار قصر إيباخ بالعسكر، إلى شيء قد نصب على الجدار، فقال: لا تنظر إليه. فقال: قد نظرت إليه. فقال: لا تفعل.

أما إعراضه عن الولايات:

فقال الشافعي: دخلت على هارون الرشيد فقلت له: إني خلفت اليمن ضائعة تحتاج إلى حاكم، فقال: انظر رجلاً ممن يجلس إليك حتى نوليه قضاءها، فلما رجع الشافعي رأى أحمد بن حنبل من أمثلهم، فقال له: إني كلمت الأمير أن يولي قاضياً باليمن، وإنه أمرني أن أختار رجلاً، وإني قد اخترتك فتهيأ حتى أدخلك على أمير المؤمنين يوابك، فأقبل عليه أحمد وقال: إنما جئت إليك لأقتبس منك العلم، تأمرني أن أدخل لهم في القضاء؟ ووبخه فاستحيا الشافعي، ثم قال له أحمد: إن سمعت هذا منك ثانية لم ترني عندك، وكان عمره إذ ذاك ثلاثون أو سبع وعشرون.

وكان يهجر من يدخل على السلاطين ويتولى الولايات.

وهذا باب واسع جداً نكتفي منه بهذا والله أعلم.

(ذكر حبه للفقر والفقراء، وتواضعه، وإجابته الدعوة، وخروجه لرؤية المنكر وإيثاره للعزلة والوحدة وخمول الذكر، واجتهاده في ستر الحال وغلبة الفكر والهم على قلبه، وتعبده وخوفه من الله)

أما حبه للفقر والفقراء:

فكان يحب الفقراء، ولم يكن الفقراء في مجلس أعز منهم في مجلسه، وكان إذا ذكر له مريض فقير أرسل إليه شيئاً يُشتهى ويعمل له، ويدفع الطيب فيطيَّب به، وكان يقول: ما أعدل بالفقر شيئاً، أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء.

وذكر له رجل صبور على الفقر في أطمار فكان يسأل عنه فيقول: سبحان الله، الصبر على الفقر، ما أعدل بالصبر على الفقر شيئاً، تدرون الصبر على الفقر أي شيء هو؟ كم بين من يعطى من الدنيا ليفتتن إلى آخر تُزوى عنه.

وذُكر له فتح الموصلي وصبره على الفقر فتغرغرت عيناه وقال: رحمه الله، عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة.

أما تواضعه:

فقال له رجل: يا أبا عبد الله أكتب من محبرتك؟ فقال: لم يبلغ ورعي ورعك هذا. وتبسم.

وقال يحيى بن معين: صحبته خمسين سنة فما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير.

وكان ربما أخذ القدوم وخرج إلى دار السكان يعمل الشيء بيده، وربما خرج إلى البقال فيشتري الجرزة الحطب والشيء فيحمله بيده.

وجعل عند عارم بن الفضل صرة فيها دراهم فكان يجيء فيأخذ منها، فقال له:

بلغني أنك من العرب، فمن أي العرب أنت؟ فقال أحمد: نحن قوم مساكين.

وقال له رجل: ائذن لي أن أقبل رأسك، فقال: لم أبلغ ذلك.

وقيل له: الرجل يقال له في وجهه: أحييت السنّة قال: هذا فساد لقلب الرجل.

وقال له رجل: الله الله فإن الناس يحتاجون إليك يا أبا عبد الله، قد ذهب الناس، فإن كان الحديث لا يمكن فمسائل، فإن الناس مضطرون إليك، فقال أحمد: أنا! وتنفس الصعداء، ورؤي في وجهه أثر الغم.

وقال له رجل: جزاك الله عن الإسلام خيراً، فقال: بل جزى الله الإسلام عني خيراً. ثم قال: ومَنْ أنا؟ ومَنْ أنا؟.

وجاءه كتاب من رجل يطلبه أن يدعو له، فقال: إذا دعونا نحن لهذا، فمن يدعو لنا نحن؟.

وكان يقول: من أنا حتى يجيؤون إليّ؟ اذهبوا اطلبوا الحديث.

ومسح رجل يده على أحمد ثم مسح بها على بدنه وهو ينظر، فغضب غضباً شديداً وجعل ينفض يده، ويقول: عمن أخذتم هذا؟ وأنكره إنكاراً شديداً.

وقال رجل: لا يزال الناس بخير ما منّ الله عليهم ببقائك، فقال: لا تقل هذا، ومن أنا في الناس؟.

وكان إذا ذكر أحوال الورعين يقول: أسأل الله أن لا يمقتنا، أين نحن من هؤلاء؟ وقيل له: ما أكثر الداعين لك، فتغرغرت عينه وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجاً، أسأل الله أن يجعلني خيراً مما تظنون، وأن يغفر لي ما لا تعلمون. وقيل له: إنك لم تزهد في الدراهم وحدها، بل زهدت في الناس، فقال: ومن أنا حتى أزهد في الناس، يريدون أن يزهدوا فيَّ.

وكان إذا جاءه الشيخ والحدث من قريش وغيرهم من الأشراف لا يخرج من باب المسجد حتى يخرجهم، فيكونون هم يتقدمونه ثم يخرج بعدهم.

وأما إجابته الدعوة، وخروجه لرؤية المنكر، وإيثاره للعزلة والوحدة وخمول الذكر، واجتهاده في ستر الحال:

فقد كان يأتي العرس والإملاك والختان، يجيب ويأكل.

ودعاه رجل فقال له: ترى أن تُعفيَني بعد الإجابة؟ فقال: لا، فذهب الرجل فأقعد مع أحمد من لم يشته أحمد أن يقعد معه، فقال أحمد: رحمَ الله ابن سيرين فإنه قال: أكرم أخاك بما يحب، أو قال: بما لا يشق عليه، لكن أخي هذا أكرمني بما يشق عليّ.

وختن رجل ابنه فدعا أصحاب الحديث ومنهم أحمد بن حنبل، فذهب بعدهم، فلما دخل أُجلس في بيت ومعه جماعة من أصحاب الحديث، فقال له رجل: يا أبا عبد الله ها هنا آنية من فضة، فالتفت فإذا كرسي، فقام وخرج ومعه مَن كان في البيت، فأخبر الرجل فلحق أحمد وحلف أنه لا يعلم ذلك ولم يأمر به، فأبى، وتشفع بغيره فأبى أن يرجع، وقال: زي المجوس زي المجوس، وجعل ينفض يده في وجهه.

وأما إيثاره خمول الذكر واجتهاده في ستر الحال:

فقد دخل عليه عمه ويده تحت خده، فقال له: يا ابن أخي أي شيء هذا الغم؟ أي شيء هذا الحزن؟ فرفع أحمد رأسه فقال: يا عم طوبى لمن أخمل الله عزّ وجلّ ذكره.

وكان إذا رأيته تعلم أنه لا يظهر النسك، وكان عليه نعل لا يشبه نعل القُرَّاء، له رأس كبير معقف، وشراكه حبل، كأنه اشتُري له من السوق، وعليه إزار وجبة برد مخططة تركاً للتزيي بزي القُرَّاء، وإزالةً للشهرة.

وقال مرة لعبد الوهاب: أخمل ذكرك فإني قد ابتليت بالشهرة، والله لو وجدت السبيل إلى الخروج لم أقم في هذه المدينة، ولخرجت منها حتى لا أذكر فيها عند هؤلاء ولا يذكروني.

وصلى الغداة مرة فتبعه قوم فقال: لا تتبعوني مرة أخرى. وكان إذا مشى في

الطريق يكره أن يتبعه أحد، وإذا خرج ليوم الجمعة وغيرها لا يدع أحداً يتبعه، وربما وقف حتى ينصرف الذي يتبعه، وكان يمشي وحده متواضعاً.

أما غلبة الفكر والهم على قلبه وتعبده وخوفه من الله:

فقال المَرُّوذي: دخلت عليه وهو يقول: اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ.

وكان إذا دعا له رجل يقول: الأعمال بخواتيمها. وكان يقول: وددت أني نجوت من هذا الأمر كفافاً لا عليَّ ولا لي وقال له الحصري: إن أمي رأت لك كذا وكذا وذكرت الجنة، فقال: إن سهل بن سلامة كانوا يخبرونه بمثل هذا، وخرج إلى سفك الدماء، ولكن الرؤيا تسرُّ المؤمن ولا تغره.

وكان يقول: خوف الله يمنعني من أكل الطعام والشراب مما أشتهيه.

وأراد في مرضه الذي مات فيه أن يبول فدعا بطست فجذب فبال دماً عبيطاً، فأري الطبيب فقال: هذا رجل قد فتت الغم والحزن جوفه.

وقيل له: كيف أصبحت؟ فقال: كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرائض، ونبيه بأداء السنّة، والملكان بتصحيح العمل، ونفسه بهواها، وإبليس بالفحشاء، وملك الموت بقبض روحه، وعياله بالنفقة.

وقال المروذي: دخلت أنا وأحمد موضعاً وهو متكىء على يدي، فاستقبلتنا امرأة بيدها طنبور فتناولتُه منها فكسرته وجعلت أدوسه، وأحمد بن حنبل منكس الرأس إلى الأرض فلم يقل شيئاً، وانتشر أمر الطنبور، فقال أحمد: ما علمت بهذا، ولا علمت أنك كسرت طنبوراً بحضرتي إلى الساعة.

وأما تعبده:

فقال صالح: كان أبي لا يدع أحداً يستقي له الماء لوضوءه إلا هو، وكان إذا خرجت الدلو ملأى قال: الحمد لله. قلت: يا أبت ما الفائدة في هذا؟ فقال: يا بني أما سمعت قول الله عزّ وجلّ ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء مَعين﴾.

وقال عبد الله: كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلي في كل يوم وليلة مئة وخمسين، وقد كان في زمن الثمانين، وكان يقرأ في كل يوم سُبعاً من القرآن، يختم في كل سبعة أيام، وكانت له ختمةٌ في كل سبع ليالٍ سوى صلاة النهار، وكان ساعةَ يصلي العشاء الآخرة ينامُ نومة خفيفة، ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو.

وخرج الشافعي ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل إلى مكة، فلما صاروا بمكة نزلوا في موضع، فاستلقى الشافعي واستلقى يحيى بن معين أيضاً وقام أحمد يصلي، فلما أصبحوا قال الشافعي: لقد عملت للمسلمين مئتي مسألة. وقال يحيى بن معين: نفيت عن حديث النبي ﷺ مئتي كذَّاب. وقال أحمد: صليت ركعات ختمت فيها القرآن.

وقال أحمد: افتتحت القرآن في يوم فعددت مواضع الصبر، فإذا هو نيف وتسعون.

وكانت له قلنسوة قد خاطها بيده فيها قطن، فإذا قام من الليل لَبِسَها، وكان كثيراً ما يقرأ سورة الكهف، ولما توارى من السلطان توارى عند إبراهيم بن هانىء، فكان يصوم النهار ويعجل الإفطار، ثم يصلي بعد العشاء الآخرة ركعات، ثم ينام نومة خفيفة، ثم يقوم فيتطهر، ولا يزال يصلي حتى يطلع الفجر، ثم يوتر بركعة، فكان هذا دأبه طول مقامه عنده، ما فتر ليلة واحدة، كذا ذكره ابن هانىء، ثم قال: وكنت لا أقوى معه على العبادة، وما رأيته مفطراً إلا يوماً واحداً أفطر واحتجم، فلا أعرف أحداً أقوى على الصبر والزهد والعبادة وجهد النفس منه.

وقال عبد الله: رأيت أبي لما كبر وأسنَّ، اجتهد في قراءة القرآن وكثرة الصلاة بين الظهر والعصر، فإذا دخلت عليه انفتل من الصلاة، وربما تكلم وربما سكت، فإذا رأيت ذلك خرجت، ثم يعود إلى صلاته.

وقيل له: إنك تقف في أشياء من الفقه، هل بان لك فيها قول؟ فقال: هذا زمان مبادرة.

وكان يصلي بعد الجمعة ست ركعات ويفصل في كل ركعتين بسلام.

وجاءه أبو زرعة فتذاكرا، فقال أحمد: ما صليت اليوم غير الفرض استأثرت بمذاكرة أبي زرعة على نوافلي.

obeikandl.com

(ذكر عدد حجاته، ودعائه ومناجاته، وكراماته وإجابة سؤاله وعدد زوجاته وسراريه وأولاده، وابتداء محنته وسببها)

قال عبد الله: حج أبي خمس حجات، ثلاث منها ماشياً واثنتين راكباً، وأنفق في بعض حجاته عشرين درهماً.

وقال صالح: قال أبي: حججت خمس حجج، منها ثلاث راجلاً، أنفقت في هذه الحجج ثلاثين درهماً. وقال أحمد: كفى بعض الناس من مكةَ إلى ها هنا أربعة عشر درهماً. فقيل: من يا أبا عبد الله؟ قال: أنا.

أما دعاؤه ومناجاته:

فكان كثيراً ما يقول في دبر صلاته: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن النار.

وكان يقول: اللهم من كان على هوًى أو على رأي، وهو يظن أنه على الحق وليس هو على الحق، فردَّه إلى الحق حتى لا يضلَّ من هذه الأمة أحد، اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفَّلتَ لنا به، ولا تجعلنا في رزقك خولاً لغيرك، ولا تمنعنا خير ما عندك بشرِّ ما عندنا، ولا ترانا حيث نهيتنا، ولا تفقدنا من حيث أمرتنا، اللهم أعزنا ولا تذلنا، أعزنا بطاعتك، ولا تذلنا بالمعصية.

وكان يقول: اللهم إنك تعلم أننا نعلم أنك لنا على ما نحب، وأكثر مما نحب، فاجعلنا لك على ما تحب، اللهم إنا نسألك بالقدرة التي قلت للسماوات والأرض: ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا: أتينا طائعين، اللهم وفقنا لمرضاتك، اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك، ونعوذ بك من الذل إلا لك، اللهم لا تكثر علينا فنطغى، ولا تقلل علينا فننسى، وهب لنا من رحمتك، وسعة من رزقك ما يكون بلاغاً لنا وغنًى من فضلك.

وكان يدعو دبر الصلاة: اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة والنجاة من النار، ولا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجته، ولا حاجة إلا قضيتها.

وكان يأمر بهذا الدعاء: يا دليل الحيارى دلني على طريق الصادقين، واجعلني من عبادك الصالحين.

أما كراماته وإجابة سؤاله:

فقال عبد الله: رأيت أبي حرّج على النمل أن يخرج من داره، ثم رأيت النمل قد خرجن بعد ذلك نملاً سوداً فلم أرهم بعد ذلك.

ومرض ابن ابْنِهِ صالح، فجعل الدم يسيل من منخريه، فجيء بالأطباء فجعلوا يعالجونه بالفتل وغيرها والدم يغلبهم، فجاء أحمد وقال: كيف حالك يا بني؟ فقال: يا جدي هوذا أموت، ادع الله لي، فقال أحمد: ليس عليك بأس، ثم جعل يحرك يده كأنه يدعو له، فانقطع الدم، وقد كانوا يئسوا منه لأنه كان يرعف دائماً.

وكانت نخلة لا تحمل، فجيء بقلمه الذي كان يكتب فيه فوضع فيها فحملت النخلة.

وكانت امرأة مقعدة نحو عشرين سنة، فأرسلت ابنها إليه وقالت: سله أن يدعو لي، فقلت له ذلك، فقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا أمك. قال: فوليت منصرفاً، فخرجت من داره عجوز، فقالت: أنت الذي كلمته؟ قلت: نعم. قالت: قد تركته يدعو الله لها، فجاء من فوره إلى البيت، فدق الباب، فخرجت أمه على رجليها تمشي وتقول: قد وهب الله لي العافية.

وكان ساكن له يشتكي، فكان يَئِنُّ بالليل، فقال أحمد في جوف الليل: من هذا عندكم يشتكي؟ فقيل: فلان، فدعا له وقال: اللهم اشفه. ودخل، فكأنه نار صُبَّ عليها ماء.

وقالت فاطمة ابنة الإمام أحمد: وقع الحريق في بيت أخي صالح، وكان قد

تزوج إلى قوم مياسير، فحملوا إليها جهازاً بأربعة آلاف دينار، فأكلته النار، فجعل صالح يقول: ما غمني ما ذهب مني إلا ثوب لأبي كان يصلي فيه أتبرك به وأصلي فيه، قالت: فطفىء الحريق، ودخلوا، فوجدوا الثوب على سرير قد أكلت النار ما حوله والثوب سليم.

واحترقت دار علي بن الحسين الزينبي، واحترق ما فيها إلا كتاب كان فيه شيء بخط أحمد بن حنبل. ووقع الغرق ببغداد سنة أربع وخمسين وخمس مئة، وغرقت كتب، سلم من الغرق فيها كتاب فيه ورقتان من خطه.

وقال عبد الله بن موسى: خرجت أنا وأبي في ليلة مظلمة نزور أحمد، فاشتدت الظلمة، فقال أبي: تعال حتى نتوسل إلى الله بحب هذا الرجل الصالح حتى تضيء لنا الطريق، فإني منذ ثلاثين سنة ما توسلت بحبه إلا قضيت حاجتي، فدعا أبي وأمنت على دعائه، فأضاءت السماء كأنها ليلة مقمرة حتى وصلنا إليه.

أما عدد زوجاته وسراريه وأولاده:

أما زوجاته وسراريه وأولاده: فقال المروذي: قال أحمد ما تزوجت إلا بعد الأربعين.

فأول زوجاته عباسة بنت الفضل، أم صالح.

والثانية ريحانة أم عبدالله.

ويأتي ذكرهما في النساء في الطبقة الأولى إن شاء الله تعالى.

أما سراريه: فاشترى سرية اسمها حُسن لما توفيت أم عبد الله، فولدت له أم علي واسمها زينب، وولدت توأماً وماتا بالقرب من ولادتها، ثم ولدت الحسن ومحمد فعاشا إلى أن صارا من السن إلى نحو الأربعين سنة، ثم ولدت سعيداً بعدهما.

أما أولاده: فكان له من الأولاد **صالح** وهو من أم **وعبد الله** وهو من أم، والحسن والحسين وسعيد ومحمد وزينب من أم وهي جاريته حُسن، فأما صالح فهو

أكبر أولاده، وله من الأولاد زهير ومحمد، وأما عبد الله فلا أعلم له أولاداً، وأما سعيد فتوفي قبل موت أبيه أحمد، وأما الحسن ومحمد فكذلك، وأما زينب فلا أدري متى توفيت.

ويأتي ذكر الجميع في الطبقة الأولى إن شاء الله تعالى.

أما ابتداء محنته وسببها:

فما زال الناس على قانون السلف وقولهم: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، حتى نبغت المعتزلة فقالوا بخلق القرآن، وكانت تستر ذلك، وكان القانون محفوظاً في زمن الرشيد، فلقد قال هارون الرشيد: بلغني أن بشراً المريسي زعم أن القرآن مخلوق، عليّ إن أظفرني الله به لأقتلنه قتلة ما قتلتها أحداً قط.

وكان بشر متوارياً أيام هارون نحواً من عشرين سنة، حتى مات هارون، فظهر ودعا إلى الضلالة، وكذلك زمن الأمين لم يظهر الدعوة حتى ولي المأمون، فخالطه قوم من المعتزلة وحسنوا له القول بخلق القرآن، وكان يتردد في حمل الناس على ذلك، ثم قوي عزمه على ذلك، فحمل الناس عليه، فلقد قال المأمون يوماً: لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرنا أن القرآن مخلوق، فقيل له: يا أمير المؤمنين ومن يزيد حتى يُتقى؟ فقال: ويحك إني أخاف إن أظهرته فيرد علي فيختلف الناس فيكون فتنة، وأنا أكره الفتنة. فقال الرجل: فأنا أخبر ذلك منه، فدخل على يزيد وقال: إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك: إني أريد أن أظهر أن القرآن مخلوق، فقال يزيد: كذبت على أمير المؤمنين، لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه، فإن كنت صادقاً فاقعد إلى المجلس، فإذا اجتمع الناس فقل. قال: فلما أن كان من الغد اجتمع الناس فقال الرجل: إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك: إني أريد أن أظهر أن القرآن مخلوق، فما عندك في ذلك؟ قال: كذبت على أمير المؤمنين، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه، ولم يقل به أحد فرجع، فقال: يا أمير المؤمنين كنتَ أعلم، كان من القضية كيت وكيت، فقال: ويحك يُلعب بك.

(ذكر قصته مع المأمون وما جرى له بعد المأمون، وقصته مع المعتصم وبيان فضله في صبره وما أثمر له)

أما قصته مع المأمون: فقد كتب المأمون وهو في الرقة إلى إسحاق بن إبراهيم صاحب الشرطة ببغداد بامتحان الناس، فامتحنهم.

قال أحمد: لما أدخلنا على إسحاق بن إبراهيم للمحنة قرىء علينا كتاب الذي صار إلى طرسوس، يعني المأمون، فكان فيما قُرىء علينا: ﴿ليس كمثله شيء﴾ ﴿وهو خالق كل شيء﴾ فقلت: ﴿وهو السميع البصير﴾.

قال صالح بن أحمد: ثم امتحن القوم، فوجَّه من امتنع إلى الحبس، فأجاب القوم جميعاً إلا أربعة: أبي ومحمد بن نوح، وعبيد الله بن عمر القواريري، والحسن بن حماد، ثم أجاب عبيد الله القواريري والحسن بن حماد، وبقي أبي ومحمد بن نوح في الحبس، فمكثا في الحبس أياماً، ثم ورد الكتاب من طرسوس بحملهما، فحُملا مقيدَيْنِ ومغلين.

فقال أبو معمر القطيعي: لما حضرنا دار السلطان أيام المحنة، وكان أحمد بن حنبل قد أحضر، وكان رجلاً ليناً، فلما رأى الناس يجيبون انتفخت أوداجه واحمَّرت عيناه، وذهب ذلك اللين الذي كان فيه، فقلت: إنه غضب لله. قال أبو معمر: فلما رأيت ما به، قلت: يا أبا عبد الله أبشر، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ منهم من إذا أُريد على شيء من دينه رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون.

وقيل لأحمد في أيام المحنة: يا أبا عبد الله، ألا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل؟ فقال: إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة، وقلوبنا بعد ملازمة للحق.

وقال صالح: حُمل أبي ومحمد بن نوح مقيدين، فصرنا معهما في الأنبار،

فسأل أبو بكر الأحول أبي فقال: يا أبا عبد الله إن عُرضتَ على السيف تجيب؟ قال: لا، ثم سُيِّرا، فلما صارا إلى الرحبة ودخلا منها وذلك في جوف الليل، عرض لهما رجل فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقيل له: هذا، فقال للجمال: على رسلك، ثم قال: يا هذا ما عليك أن تقتل هاهنا وتدخل الجنة هاهنا، ثم قال: أستودعك الله. ومضى، قال أحمد: فسألت عنه، فقيل: هذا رجل من العرب من ربيعة، يعمل الشعر في البادية، يقال له: جابر بن عامر، يُذكر بخير.

وكان أحمد يقول: ما سمعت كلمة منذ وقعت في الأمر الذي وقعت فيه أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في رحبة طوق، قال لي: يا أحمد، إن يقتلك الحق مُتّ شهيداً، وإن عشت عشت حميداً. فقوَّى قلبي. وقال أبو حاتم: فكان كما قال الأعرابي؛ فلقد رفع عزّ وجلّ شأن الرجل يعني أحمد بعدما امتُحن، وعظم عند الناس، وارتفع أمره جداً.

وقال أبو جعفر الأنباري: لما حمل أحمد إلى المأمون أخبرت، فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان، فسلمت عليه، فقال: يا أبا جعفر، تَعنَّيْتَ. فقلت: ليس عناء. ثم قلت له: يا أحمد، أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبنَّ بإجابتك خلق من خلق الله، ولئن امتنعت ليمتنعنَّ خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، ولا بدّ من الموت، فاتق الله ولا تجبهم في شيء. فجعل أحمد يبكي ويقول: ما شاء الله ما شاء الله.

وقال صالح: لما صرنا إلى أَذَنَةَ ورحلنا منها مع أبي، وذلك في جوف الليل، وفتح لنا بابها، فإذا رجل يقول: البشرى! قد مات الرجل. قال أبي: وكنت أدعو أن لا أراه.

وكان أحمد يقول: دعوت الله ثلاث دعوات، فتبينت الإجابة في اثنتين؛ دعوت الله أن لا يجمع بيني وبين المأمون، ودعوته أن لا أرى المتوكل. فلم ير المأمون، وأما المتوكل فإنه لما أحضر أحمد إلى دار الخلافة ليحدث ولده قعد له المتوكل في

خوخة، حتى نظر إلى أحمد، ولم يره أحمد.

قال صالح: لما صار أبي ومحمد بن نوح إلى طرسوس رُدَّا في قيادهما، فلما صارا إلى الرقة حملا في سفينة، فلما وصلا إلى عانات توفي محمد بن نوح، فأطلق عنه قيده، وصلى عليه أبي.

وكان أحمد يقول: ما رأيت أحداً على حداثة سنه وقلة علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، وإني لأرجو أن يكون الله قد ختم له بخير. قال لي ذات يوم وأنا معه خِلْوَيْنِ: يا أبا عبد الله، إنك لست مثلي، أنت رجل يقتدى بك، وقد مد الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتق الله، واثبت لأمر الله. فعجبت من تقويته لي وموعظته إياي، فانظر بما ختم له، مرض وصار إلى بعض الطريق، فمات، فصليت عليه، ودفنته بعانه. قال الخطيب البغدادي: كانت وفاته سنة ثمان عشرة ومئتين رحمه الله.

أما ما جرى له بعد المأمون فقد تقدم أنَّه لما جاء الخبر بموت المأمون رُد أحمد ومحمد بن نوح مقيدين في قيادهما، فمات محمد بن نوح في الطريق ورد أحمد إلى بغداد مقيداً:

قال البوشنجي: أخذ أحمد أيام المأمون ليحمل إلى المأمون ببلاد الروم، فبلغ أحمد الرقة، ومات المأمون قبل أن يلقاه أحمد، وذلك سنة ثمان عشرة ومئتين.

ودخل على أحمد أصحاب الحديث بالرقة وهو محبوس، فجعلوا يذاكرونه ما يروى من الأحاديث في التقية، فقال أحمد: فكيف تصنعون بحديث خباب: «إن من كان قبلكم ينشر أحدهم بالمنشار ثم لا يصرفه ذلك عن دينه»؟ فيئسوا منه، فقال أحمد لهم: لست أبالي بالحبس، ما هو إلا ومنزلي واحد، ولا قتلاً بالسيف، وإنما أخاف فتنة السوط، وأخاف أن لا أصبر، فسمعه بعض أهل الحبس وهو يقول ذلك، فقال: لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوطان، ثم لا تدري أين يقع الباقي. وكأنه سُرّي عنه. ورد من الرقة وحبس.

وقال صالح بن أحمد: رد المأمون أبي ومحمد بن نوح في قيادهما من الرقة،

وأخرجا في سفينة مع قوم محبسين، فلما صارا بعانات توفي محمد بن نوح، ودفن بها، ثم صار أبي إلى بغداد وهو مقيد، فمكص بالناس أياماً، ثم صار إلى الحبس في دار اكتريت له عند دار عمارة، ثم نقل بعد ذلك إلى حبس العامة في درب الموصلي، وكان يصلي بالسجن وهو مقيد، وأرسل إليه آدم العسقلاني يقول: يا أحمد، اتقِ الله، وتقرب إليه بما أنت فيه، ولا يستفزنك أحد، فإنك إن شاء الله مشرف على الجنة، فقد قال رسول الله ﷺ: «من أرادكم على معصية فلا تطيعوه» فأطرق أحمد إطراقة، ثم رفع رأسه فقال: رحمه الله حياً وميتاً؛ فلقد أحسن النصيحة.

أما قصته مع المعتصم وبيان فضله في صبره وما أثمر له:

فإنه لما مات المأمون رد أحمد إلى بغداد، فسجن إلى أن امتحنه المعتصم، وكان أحمد بن أبي دؤاد على قضاء القضاة، فحمله على امتحان الناس بخلق القرآن.

قال صالح ابن أحمد: لما كان في شهر رمضان سنة تسع عشرة ومئتين حوِّل أبي إلى دار إسحاق بن إبراهيم، يوجه إليه كل يوم برجلين أحدهما يقال له: أحمد بن رباح، والآخر أبو سعيد الحجام، فلا يزالا يناظرانه حتى إذا أرادا الانصراف دعيا بقيد فزيد في قيوده، فصار في رجله أربعة أقياد، فلما كان في اليوم الثالث دخل عليه أحد الرجلين، فناظره، فقال له أبي: ما تقول في علم الله؟ قال: علم الله مخلوق. فقال أبي: كفرت. فقال الرسول الذي كان يحضر من قبل إسحاق بن إبراهيم: إن هذا رسول أمير المؤمنين. فقال أبي: إن هذا قد كفر. فلما كان في الليلة الرابعة وجه المعتصم إلى إسحاق فأمره بحمل أبي إليه، فأدخل إلى إسحاق، فقال: يا أحمد، إنها والله نفسك، إنه لا يقتلك بالسيف، إنه آلى إن لم تجبه أن يضربك ضرباً بعد ضرب، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس، أليس قد قال الله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ أفيكون مجعول إلا مخلوقاً؟ فقال له أبي: قال الله عزّ وجلّ: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ أفخلقهم؟ فسكت، ثم قال: اذهبوا به. قال أبي: فلما صرنا إلى الموضع المعروف بباب البستان أخرجت، وجيء بدابة فحملت عليها وعلي الأقياد، ما معي أحد يمسكني، فكدت غير مرة أن أخرّ على وجهي لثقل القيود، فجيء بي إلى

المعتصم، فأدخلت حجرة إلى بيت، وأغلق الباب عليّ، وذلك في جوف الليل، وليس في البيت سراج، فمددت يدي فإذا أنا بإناء فيه ماء وطشت موضوع، فتوضأت للصلاة وصليت، فلما كان من الغد أخرجتُ تكتي من سراويلي وشددت بها الأقياد أحملها، وعطفت سراويلي، فجاء رسول المعتصم فقال: أجب. فأخذ بيدي، وأدخلني عليه، والتكة بيدي أحمل بها الأقياد، وإذا هو جالس، وابن أبي دؤاد حاضر، وقد جمع خلقاً من أصحابه، منهم عبد الرحمن الشافعي، فأجلست بين يدي الخليفة، وكانوا قد ضربوا عنق رجلين، فنظرت إلى عبد الرحمن الشافعي فقلت: أي شيء تحفظ عن الشافعي في المسح؟ فقال ابن أبي دؤاد: انظروا رجلاً هو ذا يقدم لضرب العنق يناظر في الفقه. فقال المعتصم: ادنه. فدنوت، فلم يزل يدنيني حتى قربت منه، فقال: اجلس فجلست، وقد أثقلتني الأقياد، فمكثت قليلاً، ثم قلت: تأذن في الكلام؟ فقال: تكلم. فقلت: إلى ما دعا الله ورسوله؟ فسكت هنيهة ثم قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله. فقلت: أنا أشهد أن لا إله إلا الله. ثم قلت: إن جدك ابن عباس يقول: لما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ ثم سألهم عن الإيمان بالله فقال: «أتدرون ما الإيمان بالله؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تعطوا الخمس من المغنم» فقال المعتصم: لولا أني وجدتك في يد غيري ممن كان قبلي ما تعرضتك. ثم قال: يا عبد الرحمن بن إسحاق، ألم آمرك أن ترفع المحنة؟ فقلت: الله أكبر، إن في هذا لفرجاً للمسلمين. ثم قال لهم المعتصم: ناظروه وكلموه، يا عبد الرحمن، كلمه. فقال عبد الرحمن: ما تقول في القرآن؟ فقلت له: ما تقول في علم الله عزّ وجلّ؟ فسكت. فقال بعضهم: أليس قال الله تعالى: ﴿خالق كل شيء﴾ والقرآن ألَيس هو شيء؟ فقلت: قال الله عزّ وجلّ: ﴿تدمر كل شيء بأمر ربها﴾ فدمرت إلا ما أراد الله عزّ وجلّ. فقال بعضهم: قال الله عزّ وجلّ: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ أفيكون محدث إلا مخلوقاً؟ فقلت: قال الله عزّ وجلّ: ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ هو القرآن، وتلك ليس فيها ألف ولا لام، وذكر بعضهم حديث عمران بن حصين «إن الله خلق الذكر» فقلت: هذا خطأ، والصواب أن الله تعالى كتب الذكر، واحتجوا بحديث

ابن مسعود «ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي» فقلت: إنما يوقع الخلق على الجنة والنار والسماء والأرض، ولم يقع على القرآن. فقال بعضهم: حديث خباب «يا هنتاه، تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه» فقلت: هذا كذا هو فجعل ابن أبي دؤاد ينظر إليّ كالمغضب، وكان يتكلم هذا فأرد عليه، ويتكلم هذا فأرد عليه، فإذا انقطع الرجل منهم اعترض ابن أبي دؤاد، فيقول: يا أمير المؤمنين، هو والله ضال مضل مبتدع. فيقول المعتصم: كلموه، ناظروه. فيكلمني هذا فأرد عليه، فإذا انقطعوا يقول المعتصم: ويحك يا أحمد، ما تقول؟ فأقول: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله. فقال ابن أبي دؤاد: وأنت لا تقول إلا ما في كتاب الله أو سنّة رسول الله؟ فقلت له: تأولت تأويلاً فأنت أعلم، وما تأولت أتحبس عليه وتقيد؟ فأقبل ابن أبي دؤاد يكلمني، فلم ألتفت إليه، فقال المعتصم: ألا تكلم أبا عبد الله؟ فقلت: لست أعرفه من أهل العلم فأكلمه.

وكان ابن أبي دؤاد يقول للمعتصم: والله يا أمير المؤمنين لئن أجابك أحب إليّ من مئة ألف دينار ومئة ألف دينار. فيعدّ من ذلك ما شاء الله، فيقول المعتصم: والله لئن أجابني لأطلقن عنه بيدي، ولأركبن إليه بجندي، ولأطأن عقبه. ثم قال: يا أحمد، والله إني عليك لشفيق، وإني أشفق عليك شفقتي على هارون ابني، ما تقول؟ فأقول: أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنّة رسول الله. فلما طال المجلس ضجر وقال: قوموا. وحبسني، وعبد الرحمن بن إسحاق يكلمني قال: ويحك، أجبني. وقال: أما أعرفك، ألم تكن تأتينا؟ فقال له عبد الرحمن بن إسحاق: يا أمير المؤمنين، أعرفه منذ ثلاثين سنة يرى طاعتك والجهاد والحج معكم. فقال: والله إنه لعالم، وإنه لفقيه، وما يسؤني أن يكون مثله معي يرد عني أهل الملل.

ثم قال لي بالبيت: تعرف صالحاً الرشيدي؟ قلت: قد سمعت باسمه. قال: كان مؤدبي، وكان في ذلك الموضع جالساً، وأشار إلى ناحية من الدار، فسألته عن القرآن، فخالفني، فأمرت به فوطىء وسحب. ثم قال لي: يا أحمد، أجبني إلى شيء

من ذلك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي. فقلت: أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنّة رسول الله. فطال المجلس، فقام ودخل، ورددت إلى الموضع الذي كنت فيه، فلما كان بعد المغرب وجه إليّ برجلين من أصحاب ابن أبي دؤاد يبيتان عندي، ويناظراني، ويقيمان معي حتى إذا كان وقت الإفطار جيء بالطعام، ويجتهدان في أن أفطر فلا أفعل، ووجه إليَّ المعتصم ابن أبي دؤاد في بعض الليالي فقال: يقول لك أمير المؤمنين، ما تقول؟ فرددت عليه نحواً مما كنت أرد، فقال ابن أبي دؤاد: والله لقد كتب اسمك في السبعة يحيى بن معين وغيره ــ يعني يحيى بن معين وأبا خيثمة وأحمد الدَّوْرَقي والقواريري وسعدويه وسجادة وأحمد بن حنبل وقيل خلف المخرمي ــ ولقد ساءني أخذهم إياك، إن أمير المؤمنين حلف أن يضربك ضرباً بعد ضرب وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس، وإن أجابني جئت إليه حتى أطلق عنه بيدي. ثم انصرف.

فلما أصبح ــ وذلك اليوم الثاني ــ جاء رسوله فأخذ بيدي حتى ذهب بي إليه، فقال لهم: ناظروه، وكلموه. فجعلوا يناظرونني، ويتكلم هذا من ها هنا فأرد عليه، ويتكلم هذا من ها هنا فأرد عليه، فإذا جاء بشيء من الكلام ليس في كتاب الله ولا سنّة رسول الله ﷺ ولا فيه خبر قلت: لا أدري ما هذا؟ فيقولون: يا أمير المؤمنين، إذ توجهت الحجة له علينا ثبت، وإذا كلمناه بشيء آخر يقول: ما أدري ما هذا؟ فقال: ناظروه. فقال رجل: يا أحمد أراك تذكر الحديث وتنتحله. قلت: ما تقول في ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأُنثيين﴾ فقال: خص بها المؤمنين. فقلت: ما تقول إن كان قاتلاً أو عبداً أو يهودياً. فسكتَ، فسكتّ، وإنما احتججت عليهم بهذا لأنهم يحتجون بظاهر القرآن، وحيث قال: أراك تنتحل الحديث. فلم يزالوا كذلك إلى قرب الزوال، فلما ضجر قال لهم: قوموا وخلا بي وبعبد الرحمن بن إسحاق، فلم يزل يكلمني، ثم قام ودخل، ورددت إلى الموضع.

وقال أحمد: كان قبيل أن أضرب نام بعض من كان معي من أصحابي وبقيت متفكراً في أمري، فإذا أنا برجل طويل يتخطى الناس، حتى دنا مني فقال: أنت

أحمد بن حنبل؟ فسكتُّ، ثم ثانية فسكتُّ، فقال ثالثة: أنت أبو عبد الله أحمد بن حنبل؟ قلت: نعم. قال: اصبر ولك الجنة. فلما مسني حرُّ السوط ذكرت قول الرجل، قال أحمد: وكانت الليلة الثالثة، قلت: خليق أن يحدث غداً من أمري شيء، فقلت لبعض من كان معي الموكَّل بي: جئني بخيط. فجاءني بخيط فشددت به أقيادي، ورددت التكة إلى سراويلي مخافة أن يحدث من أمري شيء فأتعرى، فلما كان من الغد في اليوم الثالث وجه إليّ فأدخلت، فإذا الدار غاصة، فجعلت أدخل من موضع إلى موضع، وقوم معهم السيوف، وقوم معهم السياط وغير ذلك، ولم يكن في اليومين الماضيين كبير أحدٍ من هؤلاء، فلما انتهيت إليه قال: اقعد. ناظروه، كلِّموه فجعلوا يناظروني، فيتكلم هذا فأرد عليه، ويتكلم هذا فأرد عليه، وجعل صوتي يعلو أصواتهم، فجعل بعض من على رأسه قائم يومئُ لي بيده، فلما طال المجلس نحاني، ثم خلا بهم، ثم نحاهم وردني إليه، وقال: ويحك يا أحمد، أجبني حتى أطلقك بيدي. فرددت عليه نحواً مما كنت أرد عليه، فقال: عليك. . وذكر اللعن، ثم قال: خذوه، واسحبوه، واخلعوه. فسحبت، ثم خلعت، وقد كان صار إلي شعر من شعر النبي ﷺ، فصررته في كمي، فوجه إليّ إسحاق بن إبراهيم وقال: ما هذا المصرور في كمك؟ فقلت: شعر من شعر النبي ﷺ. وسعى بعض القوم إلى القميص ليخرقه عليّ، فقال لهم المعتصم: لا تخرقوه. فنزع القميص عني، فظننت أنه إنما دُرِىء عن القميص الخرق بسبب الشعر الذي كان فيه، وجلس المعتصم على كرسي، ثم قال: العُقابين والسياط. فجيء بالعُقابين، فمدت يداي، فقال بعض من حضر خلفي: خذ ناتيء الخشبتين، وشدَّ عليهما. فلم أفهم ما قال، فتخلعت يداي.

ولما أحضر للمعتصم العقابين لانَ لأحمد لما علق بالعقابين، ولما رأى من ثبوته وصلابته وتصميمه في أمره حتى أغراه ابن أبي دؤاد وقال له إن تركتَه قيل: إنك تركت مذهب المأمون. فهاجه ذلك على ضربي، ولما جيء بالسياط نظر إليها المعتصم فقال: ائتوني بغيرها. فأتي بغيرها، فقال للجلادين: تقدموا، فجعل يتقدم إليّ الرجل منهم، فيضربني سوطين فيقول له المعتصم: شدّ، قطع الله يدك. ثم يتنحى، فيتقدم الآخر، فيضربني سوطين، وهو في كل ذلك يقول: شدّ، قطع الله

أيديكم. فلما ضربت تسعة عشر سوطاً قام إليّ المعتصم فقال: يا أحمد، علام تقتل نفسك؟ إني والله شفيق عليك. فجعل عجيف ينخسني بسيفه ويقول: تريد أن تغلب هؤلاء كلهم. وجعل بعضهم يقول: ويلك، الخليفة على رأسك قائم. وقال بعضهم: يا أمير المؤمنين، اقتله ودمه في عنقي. وجعلوا يقولون: يا أمير المؤمنين، أنت صائم وفي الشمس قائم. فقال: ويحك يا أحمد، ما تقول؟ فأقول: أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنّة رسوله حتى أقول به ثم رجع وجلس، وقال للجلاد: تقدم وأوجع قطع الله يدك، ثم أقام الثانية، فجعل يقول ويحك أجبني. وجعلوا يقبلون عليّ ويقولون: ويلك يا أحمد إمامك قائم على رأسك! وجعل عبد الرحمن يقول: من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع؟ وجعل المعتصم يقول: ويحك أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي. فقلت: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنّة رسوله حتى أقول به. فرجع فجلس، وقال للجلادين: تقدموا. فجعل الجلادون يتقدمون، فيضربني هذا سوطين، ويتنحى، وهو يقول في خلال ذلك: شد، قطع الله يدك. فذهب عقلي، فأفقت بعد ذلك، فإذا الأقياد قد أطلقت عني، فقال لي رجل ممن حضر: إنا كبَبْنَاك على وجهك، وطرحناك على بارِيَّة، ودُسْناك، وما شعرت بذلك. فأتوني بسويق وقالوا لي: اشرب وتقيأ. فقلت: لست أفطر. ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم، فحضرت صلاة الظهر، فتقدم ابن سَمَاعة فصلى، فلما انفتل من الصلاة قال لي: صليت والدم يسيل في ثوبك. فقلت: قد صلى عمر وجرحُه يَثْعَب دماً. ثم خلي عني فصرت إلى منزلي.

فمكث في السجن وكانت مدة ذلك منذ أخذ وحمل إلى أن ضرب وخلّي عنه ثمانية وعشرون شهراً.

قال بعض من كان معه في الحبس: والله ما رأيت أحداً يشبه أحمد بن حنبل، فلقد جعلت أقول في وقت ما يوجه إلينا بالطعام: يا أبا عبد الله، أنت صائم، وأنت في موضع تعبد. ولقد عطش مرة فقال لصاحب الشراب: ناولني فناوله قدحاً فيه ماء

وثلج، فأخذ ونظر إليه هنية، ثم رده عليه ولم يشرب، فجعلت أعجب من صبره على الجوع والعطش وهو في ما هو فيه.

قال صالح بن أحمد: لقد كنت ألتمس أن أوصل إليه طعاماً ورغيفاً أو رغيفين في تلك الأيام فلم أقدر على ذلك. وتفقده بعض من حضر في هذه الثلاثة الأيام وهم يناظرونه ويكلمونه، فما لحن في كلمة. قال: وما ظننت أن أحداً يكون في مثل شجاعته وشدة قلبه.

وقال ابن مصعب: ما رأيت أحداً لم يداخل السلطان ولا خالط الملوك أثبت قلباً من أحمد يومئذٍ، ما نحن في عينه إلا كأمثال الذباب، وكان عند دار الخليفة خلق من الناس لا يحصي عددهم إلا الله، بأيديهم الصحف والأقلام والمحابر في أذرعتهم، يكتبون ما يقول في المناظرة، فأخبره المروذي، فقال أحمد بن حنبل: هؤلاء كلهم! والله لأقتلن نفسي ولا أضل هؤلاء.

فانظر إلى هذا الإمام، فلقد هانت عليه نفسه في الله فبذلها، وشدةُ ابتلائه دليلٌ على قوة دينه.

قال ميمون ابن الأصبغ: كنت ببغداد، فسمعت ضجة، فقلت: ما هذا؟ قيل: أحمد بن حنبل يمتحن. فأتيت منزلي، فأخذت مالاً له خطر، فذهبت به إلى من يدخلني المجلس، فأدخلوني، فإذا بالسيوف قد جردت، والرماح قد ركزت، والتراس قد نصبت، والسياط قد طرحت، فألبسوني قباء أسود ومنطقة وسيفاً، وأوقفوني حيث أسمع الكلام، فأتى أمير المؤمنين، فجلس على كرسي، وأتي بأحمد فقال له: وقرابتي من رسول الله ﷺ لأضربنك بالسياط أو تقول ما أقول. ثم التفت إلى جلاد فقال: خذه. فأخذه، فلما ضرب سوطاً قال: بسم الله. فلما ضرب الثاني قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق. فلما ضرب الرابع قال: ﴿لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ فضرب تسعة وعشرين، وكانت تكته حاشية ثوب، فانقطعت، فنزلت سراويله إلى عانته، فقلت: الساعة ينهتك. فرمى أحمد طرفه نحو السماء، وحرك شفتيه، فما كان بأسرع من أن بقي

السراويل لم ينزل، فدخلت عليه بعد سبعة أيام فقلت: يا أحمد، رأيتك يوم ضربوك قد انحلت سراويلك، فرفعت طرفك إلى السماء، وحركت شفتيك، فأي شيء قلت؟ قال: قلت: اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش، إن كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي ستراً.

وقال غيره: لما ضرب بضعة عشر سوطاً أقبل الدم من أكتافه، وكان عليه سراويل فانقطع خيطه، فنزل السراويل، فلحظته وقد حرك شفتيه فعاد السراويل كما كان، فسألته فقلت: إنك حركت شفتيك فما قلت؟ قال: قلت: إلهي وسيدي، أوقفتني هذا الموقف فلا تهتك لي ستراً على رؤوس الخلائق. فعاد السراويل كما كان.

وقال آخر: لما قدم وجرد وبقي في سراويله، فبينما هو يضرب انحل السراويل، فحرك شفتيه، فرأيت يدين خرجتا من تحته وهو يضرب فشدتا السراويل.

وقال بعض الجلادين: لقد بطل أحمد الشطار، والله لقد ضربته ضرباً لو برك لي بعير فضربته ذلك الضرب لنقبتُ عن جوفه.

وقال آخر: والله لقد ضربته ثمانين سوطاً لو ضربت فيلاً لهدَّتْه. وكان أحمد كثيراً ما يقول: رحم الله أبا الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم. فسئل عنه فقال: لما أخرجت السياط ومدت يداي إلى العقابين إذا أنا بإنسان يجذب ثوبي من ورائي ويقول: أتعرفني؟ قلت: لا. قال: أنا أبو الهيثم العيَّار اللص الطَّرَّار، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق، وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعة الله لأجل الدين. فضربت ثم عفي عني، ولقد كنت كلما أحسست بالضرب ذكرت قوله فثبتني. وكان يقول له الموكَّل به: ادع على ظالمك. فيقول أحمد: ليس بصابر من دعا على ظالمه.

وكان بشر بن الحارث يوم ضرب أحمد واقفاً على الباب يقول اللهم ثبته. اللهم أعنه. ثم لم يزل كالحيران، ويقول: إن كان أجاب حتى أدخل فأقوم مقامه. فخرج رجل فقال: لم يجبهم. فقال: الحمد لله.

أما فضله في صبره وما أثمر له:

فقال أبو زرعة: ما زلت أسمع الناس يذكرون أحمد بن حنبل بخير ويقدمونه على يحيى بن معين وأبي خيثمة، غير أنه لم يكن له ذكر كما صار له بعد أن امتحن؛ فإنه لما امتحن ارتفع ذكره في الآفاق.

وقال أحمد بن يونس: لما روي حديث «في الجنة قصور لا يدخلها إلا نبي أو صديق أو محكم في نفسه» فقيل لأحمد بن يونس: من المحكم في نفسه قال: أحمد بن حنبل المحكم في نفسه.

وكان أحمد بن حنبل يقول لابنه: يا بني، أعطيت المجهود من نفسي في المحنة.

وقال ابن بنت معاوية: ضرب أحمد بالسياط في الله فقام مقام الصديقين في العشر الأواخر سنة عشرين ومئتين، ومكث في السجن سنة سبع عشرة وثمان عشرة وتسع عشرة، وأخرج في رمضان.

obeikandl.com

(كيفية خروجه من دار المعتصم وتلقي المشايخ إياه بعد المحنة ودعائهم له، وجعله المعتصم في حل من ضربه ومن حضر، وبقاء أثر الضرب عليه، وتحديثه بعد المعتصم، وقصته مع الواثق ومع المتوكل):

قال أحمد: لما ضربت بالسياط جاء ذاك الطويل اللحية ــ يعني عجيفاً ــ فضربني بقائم السيف، فقلت: جاء الفرج يضرب عنقي وأستريح. فقال له ابن سماعة: يا أمير المؤمنين، اضرب عنقه ودمه في رقبتي. فقال ابن أبي دؤاد: لا يا أمير المؤمنين، لا تفعل فإنه إن قتل ومات في دارك قال الناس: صبر حتى قتل. فاتخذه الناس إماماً، وثبتوا على ما هم عليه، ولكن أطلقْهُ الساعة، فإن مات خارجاً من منزلك شك الناس في أمره، وقال بعضهم: لم يجبه. فيكون الناس في شك من أمره. ودعا المعتصم بعمي ثم قال للناس: تعرفونه؟ قالوا: نعم، هو أحمد ابن حنبل. قال: فانظروا إليه، أليس هو صحيح البدن؟ قالوا: نعم. ولولا أن فعل ذلك لكنت أخاف أن يقع شر لا يقام له، فلما قال: أسلمته إليكم صحيح البدن. هدأ الناس وسكنوا، واجتمع الناس على الباب، وضجوا حتى خاف المعتصم، فخرج..

وأما تلقي المشايخ إياه بعد المحنة ودعائهم له.

فقد تلقاه يعقوب بن إبراهيم لما أخرج، وصار يقبل جبهته ووجهه، وكذلك فعل سليمان بن داود الهاشمي، فكان يقبل جبهته ووجهه ورأسه.

وجاءه الحارث بن مسكين فدخل عليه، فقال له أحمد: ضُربت فسقطت، فقال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين، هو والله ضال مضل. فقال الحارث: قد سعي بالزهري حتى ضرب بالسياط فقيل لمالك بن أنس: إن الزهري قد أقيم للناس، وعلقت كتبه في عنقه. فقال مالك: قد ضرب سعيد بن المسيب بالسياط، وحلق رأسه ولحيته، وضرب أبو الزناد بالسياط، وضرب محمد بن المنكدر وأصحاب له في

حمام بالسياط. ثم قال: قال عمر بن عبد العزيز: لا تغبطوا أحداً لم يصبه في هذا الأمر أذًى. ولم يذكر مالك نفسه. فأعجب أحمد بقول الحارث.

ولتمام الفائدة نذكر بعض من ابتلي وامتحن:

قد كانت الأنبياء تقتل، وأهل الخير في الأمم السالفة يحرقون ويقتلون، وينشر أحدهم بالمنشار وهو ثابت على دينه، وهم كثير جداً، ولكن لا بدّ من ذكر بعضهم: فرسول الله ﷺ قد سُمَّ، وكذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد سم، وقتل عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وسُمَّ الحسن، وقتل الحسين، وابن الزبير، والضحاك بن قيس، والنعمان بن بشير، وصلب خبيب بن عدي، وقَتَل الحجاج عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الله بن غالب الحداني، وسعيد بن جبير، وأبا البختري الطائي، وكميل بن زياد، وحطيطاً الزيات، وماهان الحنفي، صلبه وصلب قبله ابن الزبير، وقَتَل الواثق أحمد بن نصر الخزاعي، وصلبه، وضُرب من كبار العلماء عبد الرحمن بن أبي ليلى، ضربه الحجاج أربع مئة سوط ثم قتله، وسعيد بن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان مئة سوط، وحبيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد مئة سوط، وأبو الزناد ضربه بنو أمية، وأبو عمرو بن العلاء ضربه بنو أمية خمس مئة سوط، وربيعة الرأي ضربه بنو أمية، وعطية العوفي ضربه الحجاج أربع مئة سوط، وعبد الله بن عون ضربه بلال بن أبي بردة سبعين سوطاً، وثابت البُناني ضربه ابن الجارود خليفة ابن زياد، ويزيد الضبي ضربه الحجاج أربع مئة سوط، ومالك بن أنس ضربه المنصور سبعين سوطاً، وأبو السوار العدوي ضرب بالسياط، وعقبة بن عبد الغافر ضرب بالسياط، ولأحمد ابن حنبل في هؤلاء أسوة.

وأما جعله المعتصم في حلٍّ من ضربه ومن حضر، وبقاء أثر الضرب عليه، وتحديثه بعد المعتصم:

فقد قال صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: لقد جعلت الميت في حل من ضربه إياي. ثم قال: مررت بهذه الآية: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ فنظرت

في تفسيرها فإذا هو قد قال الحسن: إذا كان يوم القيامة جثت الأمم كلها بين يدي الله عزّ وجلّ، ثم تُنودي أن: لا يقوم إلا من أجره على الله. فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا. وقد وجَّه إليّ الواثق أن أجعل المعتصم في حل من ضربه إياي، فقلت: ما خرجت من داره حتى جعلته في حل. وسألني إسحاق بن إبراهيم أن أجعل أبا إسحاق في حل، فقلت له: قد جعلته في حل. ثم قال: قد تفكرت في الحديث: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: لا يقم إلا من عفا». وذكرت قول الشعبي: إن يعف مرة يكن له من الأجر مرتين.

وقال الحسين بنُ عبد الله الخِرَقي: بتُّ مع أحمد بن حنبل ليلة فلم أره ينام إلا يبكي إلى أن أصبح، فقلت: يا أبا عبد الله، كثر بكاؤك الليلة، فما السبب؟ قال لي: ذكرت ضرب المعتصم إياي ومرّ بي في الدرس ﴿فجزاء سيئة سيئةٌ مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ فسجدت، وأحللته من ضربي في السجود.

وقال الحربي: أحل أحمد بن حنبل من حضر ضربه، وكل من شايع فيه، والمعتصم، وقال: لولا أن ابن أبي دؤاد داعية لأحللته. وكان أحمد: يقول جعلت المعتصم في حل، ومن تولى ضربي، ومن أعان، ومن حضر. وقلت: لا يعذب فيّ أحد إلا رجلين ابن أبي دؤاد وعبد الرحمن بن إسحاق فإنهما طلبا دمي، وأنا أهون على الله من أن يعذب فيَّ أحداً، أشهدكم أنهما في حل.

وأما بقاء أثر الضرب عليه.

فقال صالح: نظر إلى أبي رجل ممن يبصر الضرب والعلاج فقال: قد رأيت من ضُرب ألف سوط، ما رأيت ضرباً مثل هذا! ثم أخذ ميلاً فأدخله في بعض تلك الجراحات، فنظر إليه فقال: إنه لم ينقب. وجعل يأتيه ويعالجه، وقد كان أصاب وجهه غير ضربة، ومكث منكباً على وجهه ما شاء الله، ثم قال له: إن ها هنا شيئاً أريد أن أقطعه. فجاء بحديدة فجعل يعلق اللحم بها ويقطعه بسكين معه، وهو صابر لذلك، يحمد الله عزّ وجلّ في ذلك، فبرىء منه، ولم يزل يتوجع من مواضع منه، وكان أثر الضرب بيناً في ظهره إلى أن توفي رحمه الله. وكان يقول: لقد أعطيت

المجهود من نفسي ولوددت أن أنجو من هذا الأمر الذي أخاف كفافاً لا علي ولا لي.

وكان أحمد يضع المجمرة، ويلف بيده خرقة فيسخنها بالنار، ثم يجعلها على جنبه من الضرب الذي كان ضرب.

وأما تحديثه بعد المعتصم: فقال البوشنجي. في سنة سبع وعشرين حدث أحمد بن حنبل ببغداد ظاهراً جهرة، وذلك حين مات المعتصم بلغنا انبساطه في الحديث ونحن بالكوفة، فرجعت إليه، فأدركته في رجب هذه السنة وهو يحدث، ثم قطع الحديث لثلاث بقين من شعبان من غير منع السلطان، ولكن كتب الحسن بن علي بن الجعد وهو يومئذٍ قاضي بغداد إلى ابن أبي دؤاد أن أحمد بن حنبل قد انبسط في الحديث، فبلغ ذلك أحمد فأمسك عن الحديث من غير أن يمنع، ولم يكن حدث أيام المعتصم فيما بلغنا، وكانت ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر، ثم لم يحدث إلى أن توفي رحمه الله.

أما قصته مع الواثق:

فإنه قد ولي الواثق أبو جعفر هارون بن المعتصم في ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومئتين، وحسن له ابن أبي دؤاد امتحان الناس بخلق القرآن ففعل ذلك، ولم يعرض لأحمد إما لما علم من صبره وإما لما خاف من تأثير عقوبته، لكنه أرسل إلى أحمد: لا تساكنّي بأرض. فاختفى أحمد بقية حياة الواثق، فما زال ينتقل إلى الأماكن، ثم عاد إلى منزله بعد أشهر فاختفى فيه إلى أن مات الواثق.

وقال إبراهيم بن هانىء: اختفى عندي أحمد ابن حنبل ثلاثة أيام ثم قال: اطلب لي موضعاً حتى أتحول إليه قلت: لا آمن عليك يا أبا عبد الله. فقال: افعل، فإذا فعلت أفدتك. فطلبت له موضعاً فلما خرج قال لي: اختفى رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام ثم تحول، وليس ينبغي أن نتبع رسول الله ﷺ في الرضاء ونتركه في الشدة. وسئل أحمد فقيل له: كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق؟ فقال: لو وضع الصدق على جرح لبرأ.

وقد روي أن الواثق ترك امتحان الناس بسبب مناظرة بين يديه رأى بها أن

الأولى ترك امتحان الناس، وذلك أنه جاءه شيخ مخضوب مقيد فقال: ائذنوا لأبي عبد الله وأصحابه يعني ابن أبي دؤاد، فأدخل الشيخ فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال: لا سلم الله عليك. فقال: يا أمير المؤمنين، بئس ما أدبك به مؤدبك. قال الله تعالى: ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ والله ما حييتني بها ولا بأحسن منها. فقال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين، الرجل متكلم. فقال له: كلمه. فقال: يا شيخ، ما تقول في القرآن؟ فقال له: لِمَ تسألني، ولي السؤال. فقال له: سل. فقال الشيخ: ما تقول في القرآن؟ قال: مخلوق. فقال: هذا شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء الراشدون أم شيء لم يعلموه؟ فقال: شيء لم يعلموه. فقال: سبحان الله! شيء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون وعلمته أنت! فخجل، فقال: أقلني، فقال: والمسألة بحالها؟ قال: نعم. فقال: ما تقول في القرآن؟ فقال: مخلوق. فقال: هذا شيء علمه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموه؟ فقال: علموه، ولم يدعوا الناس إليه. فقال له: ألا يسعك ما وسعهم؟ ثم قام إلى مدخل مجلس الخلوة، واستلقى على قفاه ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يقول: هذا شيء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون وعلمته أنت؟! سبحان الله! علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء الراشدون ولم يدعوا الناس إليه، أفلا وسعك ما وسعهم؟ لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم. فقال الخليفة: لا وسع الله علينا إن لم يتسع لنا ما اتسع لهؤلاء. فأمر أن يرفع عنه القيود ويعطى أربع مئة دينار، ويؤذن له بالرجوع، وسقط من عينه ابن أبي دؤاد، ولم يمتحن بعد ذلك أحداً.

وهذه القصة رويت من طرق وفيها زيادة، وليس هذا محل إيرادها وإنما ذكرت ما ذكره ابن الجوزي.

قال المهتدي بالله: ولما سمعت هذا الكلام من الشيخ رجعت عن هذه المقالة، وأظن أن الواثق رجع عنها أيضاً منذ ذلك الوقت.

أما قصته مع المتوكل:

فقد ولي المتوكل على الله بعد الواثق في يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومئتين وسنّه ست وعشرون سنة يومئذٍ، فأظهر الله به السنة، وكشف تلك الغمة، فشكره الناس على ما فعل، قال إبراهيم بن محمد التيمي: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق قاتل أهل الردة حتى استجابوا له، وعمر بن عبد العزيز ردَّ مظالم بن أمية، والمتوكل محا البدعة وأظهر السنّة.

وقال علي بن الجهم: قال المتوكل: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقمت إليه، فقال: تقوم إليّ وأنت خليفة؟ فقلت له: أبشر يا أمير المؤمنين، أما قيامك إليه فقيامك بالسنّة، وقد عدّك من الخلفاء. فسرّ بذلك.

وقال ابن عرفة: لما كان في سنّة أربع وثلاثين ومئتين أشخص المتوكل الفقهاء والمحدثين، وكان فيهم مصعب الزبيري، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وإبراهيم بن عبد الله الهروي، وعثمان بن أبي شيبة، فقسَّمت بينهم الجوائز، وأجريت عليهم الأرزاق، وأمرهم المتوكل أن يجلسوا للناس، وأن يحدثوا بالأحاديث التي فيها الرد على المعتزلة والجهمية، وأن يحدثوا بالأحاديث في الرؤية، فجلس ابن أبي شيبة في مدينة المنصور، ووضع له منبر، واجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفاً.

ولما مضى خمس سنين من ولايته بعث بتسيير أحمد بن حنبل، فأشخص إليه حتى وصل إلى بصرى فقيل له: ارجع. فقال ابنه صالح: يا أبت، أرجو أن تكون خيرة. فقال: لم أزل أدعو الله عزّ وجلّ أن لا أراه.

وقال صالح بن أحمد: جاء كتاب المتوكل إلى أبي فقرىء عليه، فكأنهم أومؤوا إلى أن عندهم علوياً، فقال أبي: ما أعرف من هذا شيئاً، وإني لأرى طاعته في العسر واليسر والمَنْشَط والمكره والأَثَرَة، وإني لأَتأسف على تخلفي عن الصلاة في جماعة، وعن حضور الجمعة، ودعوة المسلمين، وقد كان إسحاق وجه إليه قبل ذلك قبل موته: الزم بيتك، ولا تخرج إلى جمعة ولا إلى جماعة، وإلا نزل بك ما نزل بك. فقال ابن الكلبي: قد أمرني أمير المؤمنين أن أحلفك أن ما عندك طَلِبَته، أفتحلف؟

قال: إن استحلفوني حلفت. فأحلفه بالله وبالطلاق أن ما عندك طَلِبَة أمير المؤمنين. قال: أريد أن أفتش بيتك. فقام ومعه امرأتان، ففتش البيت، وفتش المرأتان النساء، ثم دخلوا منزلي ففتشوا، ودلوا شمعة في البئر فنظروا، ووجهوا النسوة ففتشوا الحرم، ثم خرجوا، فلما كان بعد يومين ورد كتاب علي بن الجهم: إن أمير المؤمنين قد صح عنده براءتك فيما قرفت به، وقد كان أهل البدع مدوا أعينهم، فالحمد لله الذي لم يشمتهم بك، وقد وجه إليك أمير المؤمنين بالخروج، فالله الله أن تستعفي أو ترد المال: وأرسل إليه المتوكل بالرجل الذي يسعى به ليقول فيه مقالة، فعفا عنه أحمد وقال: لعله يكون له صبيان يحزنهم قتله.

obeikandl.com

(ذكر قصة خروجه إلى العسكر بعد انقضاء التهمة وما جرى بينه وبين المتوكل بعد عوده من العسكر)

قال صالح بن أحمد: ورد كتاب علي بن الجهم: إن أمير المؤمنين قد وجه إليك يعقوب المعروف بقَوْصرة، ومعه جائزة، ويأمرك بالخروج، فالله الله أن تستعفي أو ترد المال فيتسع القول لمن يبغضك. فلما كان من الغد ورد يعقوب، فدخل إليه فقال: يا أبا عبد الله، أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول: قد صح عندنا نقاء ساحتك، وقد أحببت أن آنس بقربك وأن أتبرك بدعائك، وقد وجهت إليك عشرة آلاف درهم معونة على سفرك. وأخرج بدرة فيها صرة نحو من مئتي دينار، والباقي دراهم صحاح، فلم ينظر إليها، فشدها يعقوب وقال له: أعود غداً حتى أنظر ما تعزم عليه. وقال له: يا أبا عبد الله، الحمد لله الذي لم يشمت بك أهل البدع. وانصرف، فجئت بإجَّانة خضراء فكببتها على البدرة، فلما كان عند المغرب قال: يا صالح، خذ هذا صيّره عندك. فصيرتها عند رأسي فوق البيت، فلما كان سحراً إذا هو ينادي: يا صالح، فقمت، فصعدت إليه، فقال: ما نمت ليلتي هذه. فقلت: لم يا أبتِ؟ فجعل يبكي، وقال: سلمت من هؤلاء حتى إذا كان في آخر عمري تلبثت بهم، قد عزمت على أن أفرق هذا الشيء إذا أصبحت. فقلت: ذلك إليك. فلما أصبح جاءه الحسن البزار والمشايخ، فقال: جئني يا صالح بميزان. فقال: وجه إلى أبناء المهاجرين والأنصار. ثم قال: وجه إلى فلان. حتى يفرق في ناحية. وإلى فلان، فلم يزلْ حتى فرقها كلها، ونفضت الكيس، ونحن في حالة الله بها عليم. وكتب صاحب البريد: إنه قد تصدق بالدراهم من يومه، حتى تصدق بالكيس.

قال علي بن الجهم: فقلت له: يا أمير المؤمنين، قد علم الناس أنه قبل منك، وما يصنع أحمد بالمال، فإنما قوته رغيف. فقال: صدقت يا علي.

قال صالح: ثم أخرجنا ليلاً معنا حراس معهم النفَّاطات، فلما أضاء الفجر قال

لي: يا صالح، معك دراهم؟ قلت: نعم. قال: أعطهم. فأعطيتهم درهماً درهماً، فلما صرنا إلى الحنّاطين قال يعقوب: قفوا ها هنا، ثم وجه إلى المتوكل يعلمه بمصيرنا، فدخلنا العسكر وأبي منكس الرأس، ثم جاء وصيف يريد الدار، فلما نظر إلى الناس وجمعهم قال: ما هؤلاء؟ قالوا: هذا أحمد بن حنبل، فوجه إليه بعدما جاز يحيى بن هَرْثَمة فقال: الأمير يقرئك السلام ويقول: الحمد لله الذي لم يشمت بك أهل البدع، قد علمت ما كان حال ابن أبي دؤاد، وينبغي أن تتكلم بما يحب الله عزّ وجلّ، ثم أنزل دار إيتاخ، فجاء علي بن الجهم فقال: أمر لكم أمير المؤمنين بعشرة آلاف مكان التي فرقها، وأمر أن لا يعلم بذلك أحمد فيغم. ثم جاءه أحمد بن معاوية فقال: إن أمير المؤمنين يكثر ذكرك، ويشتهي قربك وأن تقيم ها هنا تحدث، فقال: أنا ضعيف، ثم وضع أصبعه على أسنانه، فقال: إن بعض أسناني يتحرك وما أخبرت بذلك ولدي، ثم وجه إليه: ما تقول في بهيمتين انتطحتا، فعقرت إحداهما الأخرى فسقطت فذُبحت؟ فقال: إن كان طرفَ بعينه أو مصعَ بذنبه وسالَ دمُه فيؤكل:

ثم صار إلى يحيى بن خاقان فقال: يا أبا عبد الله قد أمرني أمير المؤمنين أن أسيرَ إليك لتركبَ إلى أبي عبد الله ولدِه، وأمرني أن أقطع لك سواداً وطيلساناً وقلنسوة، فأي قلنسوة تلبس؟ فقلت: ما رأيته لبس قلنسوة قط، وقال: إن أمير المؤمنين أمر أن نصير لك مرتبة في أعلى، ويصير أبو عبد الله في حِجرك، ثم قال لي: قد أمر أمير المؤمنين أن يجري عليكم وعلى قراباتكم أربعة آلاف درهم، ثم عاد يجيء من الغد، فقال: يا أبا عبد الله تركب؟ فقال: ذاك إليك، فقال: استخر الله عزّ وجلّ، فلبس إزاره وخفيه، وكان خفُّه قد أتى عليه نحو من خمسة عشر سنة مرقوعاً برقاع عدة، فأشار يحيى أن يلبس قلنسوة فقلت: ماله قلنسوة، ولا رأيته لبس قلنسوة، فقال: كيف يدخل حاسراً وطلبنا له دابة يركبها؟ قال يحيى: فصلى فجلس على التراب وقال: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ ثم ركب بغلَ بعض التجار فمضينا معه، حتى إذا دخل دار أبي عبد الله أُجلس في بيت في الدهليز، ثم جاء يحيى فأخذ بيده، حتى أدخله ورفع الستر ونحن ننظره، فقال له: يا أبا عبد الله إن أمير المؤمنين جاء بك ليتبرك بقربك، ويصيِّر أبا عبد الله في حجرك.

قال بعض الخدام: وكان المتوكل قاعداً وراء الستر، فلما أدخل أحمد الدار قال لأمه: قد أنارت الدار، ثم جاء خادم بمنديل، فأخذ يحيى المنديل، وأخرج مبطنة فيها قميص، فأدخل يده في جيب القميص والمبطنة، ثم أخذ بيده فأقامه حتى أدخل جيب القميص والمبطنة في رأسه، ثم أدخل يده فأخرج يده اليمنى وكذا اليسرى وهو لا يحرك يده، ثم أخرج قلنسوة فوضعها على رأسه، وألبسه طيلساناً، ولم يجيؤوا بخف، فبقي الخفُّ عليه، ثم انصرف، فلما صار إلى الدار نزع الثياب عنه وجعل يبكي، ثم قال: سلمتُ من هؤلاء منذ ستين سنة، حتى إذا كان في آخر عمري بُليت بهم! ما أحسبني سلمتُ من دخولي على هذا الغلام، فكيف بمن يجب عليّ نصحه من وقت أن تقع عيني عليه إلى أن أخرج من عنده؟ ثم قال يا صالح وجِّه هذه الثياب إلى بغداد تباع ويتصدق بثمنها، ولا يشتري أحد منكم شيئاً، فبيعت وفرق ثمنها.

قال صالح: فأخبرناه أن الدار التي هو فيها لإيتاخ. فقال: اكتب رقعة، إلى محمد بن الجراح استعف لي من هذه الدار، فكتبنا رقعة فأمر المتوكل أن يُعفى منها، ووجه إلى قوم أن يخرجوا من منازلهم، فسأل أن يُعفى من ذلك، فاكتُرِيَتْ لنا دار بمئتي درهم، فصار إليها، وأجريت لنا مائدة وثلج، وضرب الخيش وفرش الطبري، فلما رأى الخيش والطبري تنحى عن ذلك الموضع، وألقى نفسه على مضربة له، واشتكت عينه ثم برأت بسرعة.

قال أبو بكر المروذي: قال لي أحمد ونحن بالعسكر: لي اليوم ثمان منذ، لم آكل ولم أشرب إلا أقل من ربع سويق. وكان يمكث ثلاثاً لا يطعم، فإذا كانت الرابعة أضع بين يديه قدر نصف ربع سويق، فربما شربه، وربما ترك بعضه. وقال صالح: جعل أبي يواصل في العسكر، يفطر في كل ثلاث على تمر شهريز، فمكث بذلك خمسة عشر يوماً، يفطر في كل ثلاث، ثم جعل بعد ذلك يفطر ليلة وليلة لا يفطر إلا على رغيف، وكان إذا جيء بالمائدة توضع في الدهليز لكي لا يراها، فيأكل من حضر، وكان إذا جهده الحر تُلقَى له خرقة فيضعها على صدره، وفي كل يوم يوجه المتوكل بابن ماسَويْهِ ينظر إليه ويقول: يا أبا عبد الله، أنا أميل إليك وإلى أصحابك،

وما بك من علة إلا الضعف وقلة الرِّزّ، وإن عبادنا ربما أمرناهم بأكل دهن الحل فإنه يلين، وجعل يجيئه بالشيء ليشربه فيصبه.

وجعل يعقوب وعتاب يصيران إليه فيقولان له: يقول لك أمير المؤمنين: ما تقول في ابن أبي دؤاد وفي ماله؟ فلا يجيب في ذلك شيئاً، وجعلا يخبرانه بما يحدث من أمر ابن أبي دؤاد في كل يوم، ثم أصدر ابن أبي دؤاد إلى بغداد بعد ما أشهد عليه ببيع ضياعه، وكان ربما صار إليه يحيى وهو يصلي، فيجلس في الدهليز حتى يفرغ ويجيء علي بن الجهم فينزع سيفه وقلنسوته ويدخل عليه.

وأمر المتوكل أن يُشترى لنا دار فقال لي: يا صالح. قلت: لبيك. قال: لئن أقررت لهم بشراء دار لتكونن القطيعة بيني وبينك، إنما يريدون أن يصيروا هذا البلد لي مأوى ومسكناً، فلم يزل يدفع شراء الدار حتى اندفع، وصار إليّ صاحب المنزل فقال: أعطيك كل شهر ثلاثة آلاف درهم مكان المائدة، فقلت: لا وجعلت رسل المتوكل تأتيه يسألونه عن خبره فيصيرون إليه فيقولون له: هو ضعيف، وفي خلال ذلك يقولون: يا أبا عبد الله لا بدّ له من أن يراك، فيقول: وما علمهم من أنه لا بدّ أن يراني.

وجاء يعقوب فقال: يا أبا عبد الله أمير المؤمنين مشتاق إليك، ويقول: انظر اليوم الذي تصير إليّ فيه: أي يوم هو حتى أعرفه؟ فقال: ذلك إليكم، فقال: يوم الأربعاء يوم خالٍ، ثم خرج يعقوب، فلما كان من الغد جاء فقال: البشرى يا أبا عبد الله أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول: قد أعفيتك عن لبس السواد والركوب إلى ولاة العهد وإلى الدار، فإن شئت فالبس القطن، وإن شئت فالبس الصوف، فجعل يحمد الله عزّ وجلّ على ذلك، ثم قال له يعقوب: لي ابن وأنا به معجب، وله من قلبي موقع، فأحب أن تحدثه بأحاديث، فسكت، فلما خرج قال: أُتراه ما يرى ما أنا فيه، لو بلغ أنفه السماء ما حدثته، لا أحدث حتى يوضع الحبل في عنقي.

وقال صالح: كان أبي يختم من جمعة إلى جمعة، فإذا ختم يدعو ونؤمِّنُ على دعائه، فلما فرغ جعل يقول: أستخير الله، مراراً، فجعلت أقول ما يريد؟ قال: أُعطي

الله عهداً إنَّ عهدَه كان مسؤولاً وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا أَوْفُوا بالعقود﴾ أني لا أحدث حديثاً تاماً أبداً حتى ألقى الله عزّ وجلّ، ولا أستثني منكم أحداً.

وجاء علي بن الجهم: فأخبرناه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وأخبر المتوكل بذلك.

وقال أبي: تريدون أن أحدث فيكون هذا البلد حبسي، وإنما كان سبب الذين أقاموا بهذا البلد أنهم أُعطوا فقبلوا، وأُمروا فحدَّثوا.

وكان يدخل عليه يحيى ويعقوب وعتاب وغيرهم، فيتكلمون وهو مغمض العين يتعلل، وضعف ضعفاً شديداً، فكانوا يخبرون المتوكل فيتوجع لذلك، ويوجه إليه في كل وقت يسأله عن حاله، وفي خلال ذلك يأمر لنا بالمال، فيقول: يوصل إليهم ولا يُعلم شيخهم، ويقول: ما يريد منهم إن كان هو لا يريد الدنيا؟ فلا يمنعهم.

وقالوا للمتوكل: إنه لا يأكل من طعامك ولا يجلس على فراشك، ويحرم هذا الشراب الذي تشرب، فقال: لو نُشر المعتصم فقال فيه شيئاً لم أقبله.

قال صالح: ثم انحدرت إلى بغداد وخلفت عبد الله عنده، فإذا عبد الله قد قدم وجاء بثيابي التي كانت عنده فقلت: ما حالك؟ فقال: قال لي: انحدر وقل لصالح لا يجيء، فأنتم كنتم آفتي، والله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أخرجت واحداً منكم معي، ولولا مكانتكم لمن كانت توضع هذه المائدة؟ ولمن كانت تفرش هذه الفرش؟ ويجرى له هذا الشيء؟ فكتبتُ أُعلمه بما قال عبد الله، فكتب بخطه: بسم الله الرحمن الرحيم، أحسن الله عاقبتك، ودفع عنك السوء برحمته، كتابي إليك وأنا بأنعم من الله عزّ وجلّ متظاهرة، وأسأله تمامها، والمعونةَ على أداء شكرها، قد انفكت عنا عقد إنما كان حبس من كان ها هنا لمّا أُعطوا فقبلوا، وأجري عليهم فصاروا في الحدّ الذي صاروا إليه، وحدَّثوا فدخلوا عليهم، فنسأل الله عزّ وجلّ أن يعيذنا من شرهم، وأن يخلصنا، فقد كان ينبغي لكم لو فديتموني بأموالكم وأهليكم لهان ذلك عليكم للذي أنا فيه، ولا يكبر عليكم ما أكتب به إليكم، فالزموا بيوتكم لعل الله أن يخلصنا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم ورد عليّ غير كتاب بنحو من هذا، فلما خرجنا رُفعت المائدة و الفرش وكل ما كان أقيم لنا، وأوصى وصية: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به أحمد بن حنبل، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله عزّ وجلّ في العابدين، ويحمدوه في الحامدين، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين، وأوصى أني رضيت بالله عزّ وجلّ رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، وأوصي أن لعبد الله بن محمد المعروف بفوران عليه نحو من خمسين ديناراً، وهو مصدق فيما قال، فيُقضى ماله عليه من غلة الدار إن شاء الله، فإذا استوفى ما كان له أعطي ولد صالح، وكل ذكر وأنثى، عشرة دراهم عشرة دراهم بعد وفاء مال أبي محمد، شهد أبو يوسف، وصالح، وعبد الله ابنا أحمد بن حنبل.

أما ما جرى بينه وبين المتوكل بعد عوده من العسكر:

فقال صالح: كان رسول المتوكل يأتي إلى أبي يبلغه السلام ويسأله عن حاله بعد عوده من العسكر، فنسر نحن بذلك، وتأخذه نفضة حتى ندثره، ثم يقول: والله لو أن نفسي في يدي لأرسلتها، ويضم أصابعه ثم يفتحها، فقدم المتوكل ونزل الشماسة، يريد المدائن، فقال: يا صالح أحب أن لا تذهب إليهم ولا ترنيهم. قال: نعم، فلما كان بعد يوم وأنا قاعد خارجاً وكان يوماً مطيراً إذا يحيى بن خاقان قد جاء والمطر عليه في موكب عظيم، فقال: سبحان الله لم تصر إلينا حتى تبلغ أمير المؤمنين عن شيخك حتى وجه بي. ثم نزل خارج الزقاق فجهدت به أن يدخل على الدابة فلم يفعل، وجعل يخوض الطين، فلما صار إلى الباب نزع جرموقاً كان على خفه ودخل البيت، وأبي في الزاوية قاعد عليه كساءٌ مرّقع، والستر الذي على باب البيت قطعة خيش، فسلّم عليه وقبّل جبهته وسأله عن حاله وقال: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام، ويقول: كيف أنت في نفسك؟ وكيف حالك؟ قد أَنِسْتُ بقربك، ويسألك أن تدعو الله عزّ وجلّ له، فقال: ما يأتي عليّ يوم إلا وأنا أدعو الله عزّ وجلّ له، ثم قال

له: قد وجه معي ألف دينار تفرقها على أهل الحاجة، فقال: يا أبا زكريا أنا في البيت منقطع عن الناس، وقد أعفاني مما أكره وهذا مما أكره. فقال: يا أبا عبد الله، الخلفاء لا يحتملون هذا كله، فقال: يا أبا زكريا تلطف في ذلك، ودعا له ثم قام، فلما صار إلى الدار رجع، فقال: هكذا لو وجه إليك بعض إخوانك كنت تفعل؟ قال: نعم!.

قال صالح: فلما صرنا إلى الدهليز قال: قد أمرني أمير المؤمنين أن أدفعها إليك تفرقها في أهل بيتكم، فقلت: تكون عندك حتى تمضي هذه الأيام. وقلّ يوم يمضي إلا ورسول المتوكل يأتيه، فقال أبي بعد ذلك: لقد تمنيت الموت، وهذا أمر أشد عليّ من ذلك، ذاك فتنة الدين الضرب والحبس، كنت أحتمله في نفسي، وهذه فتنة الدنيا. فقلت له: أي شيء كان لو أخذتها فقسمتها، فكلح وجهه وقال: إذا أنا قسمتها، أي شيء كنتُ أريد، أكون له قهرمان؟!.

قال صالح: وكتب عبيد الله بن يحيى إلى أبي يخبره أن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب إليك أسألك عن القرآن مسألة معرفة وبصيرة، لا مسألة امتحان، فأملى عليّ: إلى عبيد الله بن يحيى: بسم الله الرحمن الرحيم، أحسن الله عاقبتك يا أبا الحسن في الأمور كلها، ورفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته، قد كتبت إليك رضي الله عنك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين بما حضرني، وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين، فقد كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد يغتمسون فيه، حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين، فنفي الله بأمير المؤمنين كل بدعة، وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المجالس، فصرف الله ذلك كله وأذهبه بأمير المؤمنين، ووقع ذلك من المسلمين موقعاً عظيماً، ودعوا الله لأمير المؤمنين، فأسأل الله أن يستجيب في أمير المؤمنين صالح الدعاء، وأن يتم ذلك له، وأن يزيد في بيته، ويعينه على ما هو فيه، فقد ذُكر عن ابن عباس أنه قال: لا تضربوا بكتاب الله بعضه ببعض، فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم. وذُكر عن عبد الله بن عمرو: أن نفراً كانوا جلوساً بباب النبي ﷺ، فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا؟ فسمع رسول الله ﷺ فخرج، فقال: «بهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما هنا في شيء، انظروا

الذي أُمِرْتُم به، فاعملوا به، وانظروا الذي نُهيتم عنه فانتهوا عنه». وذكر أحاديث، ثم قال: ولقد قال الله تعالى: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ وقال: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ فأخبر أن الخلق غير الأمر، وذكر آيات، وقال: لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث رسول الله ﷺ، أو عن أصحابه، أو عن التابعين.

obeikandl.com

(ذكر ما جرى له مع ابن طاهر من طلب استزارته وامتناعه عليه، وما جرى له مع ولديه وعمه حين قبلوا صلة السلطان، وذكر الذين أجابوا في المحنة والذين لم يجيبوا)

قال صالح: قدم محمد بن عبد الله بن طاهر فوجَّه إلى أبي: إني أحب أن تصير إليَّ، وتعلمني اليوم الذي تعزم عليه حتى لا يصير عندي أحد، فوجَّه إليه: أنا لم أخالط السلطان، وقد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره، وهذا مما أكره، فجهد في أن يصير إليه فأبى، فكتب إلى إسحاق بن إبراهيم: إنِّي دخلت على طاهر بن عبد الله. فقال: يا أبا يعقوب: كتب إليّ محمد أنه وجَّه إلى أحمد ليصير إليه فلم يأته، فقلت: أصلح الله الأمير. إن أحمد قد حلف أن لا يحدِّث، فلعله كره أن يصير، إليه فيسأله أن يحدِّثه. فقال: ما تقول؟ قلت: نعم. قال صالح: فأخبرت أبي بذلك فسكت.

وإنَّما امتنع أحمد من زيارة ابن طاهر لأنه كان سلطاناً، وإلاَّ فقد كان يزور أهل الدِّين والعلم.

وقال عبد الله بن أحمد: لما أطلق أبي من المحنة خشي أن يجيء إليه إسحاق بن رَاهُوْيَه، فرحل أبي إليه، فلما بلغ أبي إلى الرَّي دَخل أبي مسجداً فجاءه مطر كأفواه القرب، فلما كانت العتمة قالوا له: اخرج من المسجد فإنَّا نريد أن نغلقه، فقال لهم: هذا مسجد الله وأنا عبد الله، فقالوا له: أيما أحبُّ إليك أن تخرج، أو أن تُجَرَّ بِرِجْلِكَ؟ فقال أبي: سلاماً، فخرج من المسجد والمطر والرعد والبرق، فكان لا يدري أين يضع رجله، ولا أين يتوجَّه، فإذا رجل قد خرج من داره فقال له: يا هذا أين تمر في هذا الوقت؟ فقال: لا أدري أين أمُرُّ. فقال له: أدخل فأدخله داراً، ونزع ثيابه، وأعطوه ثياباً جافة، وتطهَّر للصلاة، فدخل إلى بيت فيه كانون فحم ولبود ومائدة منصوبة، فقيل له: كُلْ فأكل معهم. فقال له: من أين أنت؟ فقال: من بغداد.

فقال: تعرف رجلاً يقال له أحمد بن حنبل؟ فقال أنا أحمد بن حنبل. فقال: وأنا إسحاق بن رَاهُوْيَه.

أمَّا ما جرى له مع ولديه وعمه حين قبلوا صلة السلطان:

فقال صالح: لما قدم أبي من عند المتوكل مكث قليلاً، ثم قال: يا صالح، قلت: لبيك. قال: أحب أن تدع هذا الرزق فلا تأخذه، ولا توكِّل فيه أحداً، قد علمتُ أنكم إنما تأخذون هذا بسببي، فإذا أنا مت فأنتم تعلمون. فسكتّ. فقال: مالك؟ فقلت: أكره أن أعطيك شيئاً بلساني وأخالف إلى غيره؛ فأكون قد كذبتك ونافقتك، وليس في القوم أكثر عيالاً مني ولا أعذر، وقد كنت أشكو إليك فتقول: أمرك منعقد بأمري، ولعل الله أن يحل عني هذه العقدة، وقد كنتَ تدعو لي وأرجو أن يكون الله عزّ وجلّ قد استجاب لك. فقال: ولا تفعل؟ فقلت: لا. فقال: قم فعل الله بك وفعل، ثم أمر بسد الباب بيني وبينه، فتلقاني عبد الله وسألني فأخبرته، فقال: ما أقول؟ قلت: ذاك إليك. فقال له مثل ما قال لي: فقال: لا أفعل. فكان منه نحو مما كان منه إليّ. ولقينا عمه فقال: لم أردتم أن تقولوا له؟ وما كان علمه إذا أخذتم شيئاً؟ فدخل عليه وقال: يا أبا عبد الله: لستُ آخذ شيئاً من هذا. فقال: الحمد لله. فهجرنا وسدَّ الأبواب بيننا وتحامى منازلنا أن يدخل منها إلى منزله شيء، وقد كان قديماً قبل أن نأخذ من السلطان يأكل عندنا، وربَّما وجَّهنا بالشيء فيأكل منه ولما مضى نحو من شهرين كُتِبَ لنا بشيء فجيء به إلينا، فأول من جاء عمُّه فأخذ، فَأُخبِر فجاء إلى الباب الذي كان سدَّه بيني وبينه، وقد فتحَ الصبيان كُوَّة فقال: ادعوا لي صالحاً. فجاءني الرسول فقلت له: لست أجيء. فوجَّه إليَّ: لِمَ لا تجيء؟ فجيئت فقلت له: هذا الرزق يرتزقه جماعة كثيرة، وإنما أنا واحد منهم، وليس فيهم أعذر مني، فإذا كان توبيخ خصصت به أنا؟ فمضى فلما نادى عمُّه بالأذان خرج. قيل لي: إنه قد خرج إلى المسجد، فجئت حتى صرت إلى الموضع الذي أسمع كلامه، فلما فرغ من الصلاة التفت إلى عَمِّه فقال: يا عدو الله! نافقتني وكذبتني، وكان غيرك أعذر منك! زعمتَ أنك لا تأخذ من هذا شيئاً ثم أخذتَ، وأنت تشغل مائتي درهم، وعمدتَ إلى طريق

المسلمين تستغلُّه. إنَّما أشفق أن تُطَوَّقَه يوم القيامة من سبع أرضين. ثم هجره، وترك الصلاة في المسجد، وخرج إلى مسجد خارج يصلي فيه.

وقال صالح: بلغ أبي زمان هجره لنا أنه قد كتب لنا بشيء إلى دورنا، فجاء إلى الكوة التي في الباب، فقال: يا صالح انظر ما كان للحسن وأم علي فاذهب به إلى فُورَانَ حتى يتصدق به في الموضع الذي أخذ منه. فقلت له: ما عِلْم فُوران من أي موضع أخذ؟ فقال: افعل ما أقول. فوجهتُ ما كان أضيف إليهما إلى فُوران.

وكان إذا بلغه أنَّا قد قَبِلْنا، طوى تلك الليلة فلم يفطر، ثم مكث شهراً لا أدخل عليه، ثم فتح الصبيان الباب ودخلوا غير أنه لا يدخل إليه شيء من منزلي، ثم وجَّهت إليه: يا أبت قد طال هذا الأمر، وقد اشتقت إليك. فسكتَ فدخلت عليه فأكببتُ عليه وقلت: يا أبتِ تدخل على نفسك هذا الغم؟ قال: يا بني ما لا أملكه. ثم مكثنا مدة لم نأخذ شيئاً، ثم كُتِبَ لنا بشيء فقبضناه، فلما بلغه هَجَرَنا شهراً، فكلَّمه فوران، ووجه إليّ فوران، فدخلت فقال: يا أبا عبد الله صالح وحبك. فقال: يا أبا محمد، لقد كان أعز الخلق عليّ، وأي شيء أردت له إلا ما أردت لنفسي. فقلت له: يا أبتِ ومن رأيتَ أنتَ ممن لقيتَ قوي على ما قويتَ عليه أنت؟ قال: وتحتجُّ عليَّ؟ ثم كتب إلى يحيى بن خاقان يسأله ويعزم عليه أن لا يعيننا على شيء من أرزاقنا، ولا يتكلم فيها. فلما وصل رسوله بالكتاب إلى يحيى أخذه صاحب الخبر، فأخذ نسخته ووصلت إلى المتوكل. فقال لعبيد الله: كم من أشهر لولد أحمد بن حنبل؟ فقال: عشرة أشهر. فقال: يحمل إليهم الساعة أربعون ألف درهم من بيت المال صحاح ولا يُعْلم بها، فقال يحيى: أنا أكتب إلى صالح أعلمه. فورد عليّ كتابهُ، فوجهت إلى أبي أعلمه. فقال الذي أخبره: إنه سكت قليلاً، وضرب بذقنه صدره، ثم رفع رأسه وقال: ما حيلتي إذا أردت أمراً وأراد الله أمراً؟.

أمّا الذين أجابوا في المحنة والذين لم يجيبوا:

فقد أجاب من كبار العلماء: علي بن الجعد، وإسماعيل بن عُلَيَّة، وسعيدُ بن سليمان الواسطي سَعْدُويَه، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وأبو حَيَّان الزيادي، وبشر بن

الوليد، وعبيد الله القواريري، وعلي بن أبي مقاتل، والفضل بن غانم، والحسن بن حماد سجّادة، وإسماعيل بن أبي مسعود، ومحمد بن سعد، ومحمد بن إبراهيم الدَّورقي، وإسماعيل بن داود، ويحيى بن معين، وعلي ابن المديني، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وأبو نصر التمَّار، وأبو كريب في آخرين. وكلهم قد هجرهم أحمد بن حنبل وترك الحديث عنهم.

وأما من لم يجب فهم كثير أيضاً منهم: أحمد بن نصر، ومحمد بن نوح، ونُعَيم بن حماد، والفضل بن دُكَيْن، وعفَّان، والبويطي، وإسماعيل بن أبي أويس وأبو مصعب، ويحيى الحمَّاني، وأحمد بن حنبل، وغيرهم. والمقصود منهم أحمد بن حنبل لجلالة قدره وعظيم موقعه.

obeikandl.com

(ذكر مرضه، وحاله عند احتضاره، وتاريخ موته، ومبلغ سنِّه، وغسله، وكفنه، والصَّلاة عليه، وما جرى عند حمل جنازته، ودفنه، وما خلَّفه من التركة، وتأثير موته عند الإنس والجن، والتعازي به، والأشعار التي مدح بها في حياته ورثي بها بعد موته، والمنامات التي رآها أحمد أو رئي فيها أو رئيت له)

أما مرضه وحاله عند احتضاره وتاريخ موته ومبلغ سنه:

فكان يقول: استكملت سبعاً وسبعين سنة ودخلتُ في الثامنة. فحمَّ من ليلته ومات يوم العاشر سنة إحدى وأربعين.

ودخل عليه رجل وهو في الحبس فقال له: كيف تجدك يا أبا عبد الله؛ فقال: بخير في عافية والحمد لله. فقيل له: حممت البارحة؟ فقال: إذا قلتُ أنا في عافية فحسبكم. لا تحوجوني إلى ما أكره.

وقال صالح: لما كان في أوَّل يوم من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومئتين حُمَّ أبي ليلة الأربعاء، فدخلت عليه يوم الأربعاء وهو محموم يتنفس تنفساً شديداً، وكنت قد عرفت علَّته، وكنت أمرضه إذا اعتلَّ، فقلت له: يا أبتِ على ما أفطرت البارحة؟ قال: على ماء باقلاً. ثم أراد القيام فقال: خذ بيدي. فأخذت بيده، فلما صار إلى الخلاء ضعفت رجلاه حتى توكَّأ عليّ. وكان يختلف إليه متطببون كلهم مسلمون، فوصف له متطبب قَرْعَةً تشوى ويسقى ماءها. فقال: يا صالح. فقلت: لبيك. قال: لا تشوى في منزلك، ولا في منزل أخيك عبد الله.

وصار الفتح بن سهل إلى الباب يعوده فحجبته، فأتى علي بن الجعد فحجبته، وكثر الناس. فقلت: يا أبتِ قد كثر الناس. فقال: وأي شيء ترى؟ قلت: تأذن لهم؛

فيدعون لك. فقال: أستخير الله، فجعلوا يدخلون عليه أفواجاً، حتى تمتلىء الدار، فيسئلونه، ويدعون له، ثم يخرجون، ويدخل فوج آخر، وكثر الناس، وامتلأ الشارع، وأغلقنا باب الزقاق. وجاء رجل من جيراننا قد خَضَبَ فدخل عليه فقال: إنِّي لأرى الرَّجل يُحيـــي شيئاً من السُّنَّة فأفرحُ به، فدخل فجعل يدعو له ولجميع المسلمين. وجاء رجل فقال: تلطَّف لي بالإذن عليه؛ فإني قد حضرتُ ضربه يوم الدار، وأريد أن أستحله. فقلت له: فأمْسَكَ. فلم أزل به حتى قال: أدخِله. فأدخلته، فقام بين يديه وجعل يبكي ويقول: أنا كنت ممن حضر ضربك، وقد أتيتك، فإن أحببت القِصَاص فأنا بين يديك، وإن رأيت أن تحلِّلَني فعلتَ. فقال: على أن لا تعود لمثل ذلك. قال: نعم. قال: قد جعلتك في حِلٍّ فخرج يبكي، وبكى من حضر من الناس.

وكان له في خُريقة قطيعات فإذا أراد الشيء أعطينا من يشتري له، فقال لي يوم الثلاثاء: انظر هل في خُريقتي شيء؟ فنظرت فإذا فيها دراهم. فقال: وجّه فاشترِ تمراً وكفِّر عني كفَّارة يمين ففعلتُ، وبقي بعد ذلك ثلاثة دراهم. فأخبرته. فقال: الحمد لله. ثم قال: اقرأ عليَّ الوصية فقرأتها، فأقرّها. قال صالح: فلمَّا كان قبل وفاته بيومين قال: ادعوا الصِّبيان ـ بلسان ثقيل ـ فجعلوا ينضمُّون إليه، وهو يشمهم ويمسح بيده رؤوسهم، وعينه تدمع. فقيل له: لا تهتم لهم يا أبا عبد الله. فأشار بيده، فظننَّا أنَّ معناه: إني لم أرد هذا المعنى.

وكان يصلي قاعداً، ويصلي وهو مضطجع، لا يكاد يفتر، ويرفع يديه في إيماء الركوع. وأدخلتُ الطَّستَ تحته فرأيت دماً عبيطاً في بول، فقلت للطبيب، فقال: هذا رجل قد فتَّتَ الحزنُ والغمُّ جوفه. واشتدَّت به العلة يوم الخميس ووَضَّأتُه، فقال: خلِّل الأصابع، فلمَّا كانت الجُمُعَة وظننت أنَّه قد قبض، وأردنا أن نمدِّدَه، فجعل يقبض قدميه، وهو موجه، وجعلنا نلقنه ونقول: لا إله إلا الله، ونردِّدُ ذلك عليه، وهو يهلِّل، وتوجَّه إلى القِبْلة، واستقبلها بقدميه، فلما كان يوم الجمعة، اجتمع الناس حتى ملؤوا السكك والشوارع، فلما كان صدر النَّهار قُبِضَ، فصاح الناس، وعلت

الأصوات بالبكاء، حتى كأن الدنيا قد ارتجت، وقعد الناس حتى خفنا أن ندع الجمعة، فأشرفت عليهم فأخبرتهم أنا نخرجه بعد صلاة الجمعة.

وكان قد أوصى وهو في الحبس أن يجعل على كل عين شعرة من شعر النبي ﷺ، وعلى لسانه شعرة، وكانت ثلاث شعرات عند أحمد يتبرَّك بها، ففعل به ذلك.

وكان لا يئن في مرضه، ويستدل بحديث طاووس أنه كان يكره الأنين في المرض.

أما حاله عند احتضاره:

فقال عبد الله: لما حضرت أبي الوفاة جلست عنده وبيدي الخرقة لأشدَّ بها لحييه، فجعل يغرق ثم يفيق، ثم يفتح عينيه، ويقول بيده هكذا لا بَعْد لا بَعْد ثلاث مرات، ففعل هذا مرة ثانية، فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبتِ أي شيء هذا قد لهجت به في هذا الوقت، تغرق حتى نقول قد قضيتَ ثم تعود فتقول: لا بعد لا بعد لا بعد؟ فقال: يا بني ما تدري؟ قلت: لا. قال: إبليس لعنه الله قائم حذائي عاضٌّ على أنامله يقول: يا أحمد فُتَّنِي. وأنا أقول: لا بَعْدُ حتى أموت.

وكان يحرك لسانه إلى أن توفي.

أما تاريخ وفاته ومبلغ سنه:

فقال حنبل بن إسحاق: مات أحمد يوم الجمعة في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومئتين وهو ابن سبع وسبعين سنة. وقال غيره: مات لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومئتين، وذلك بعد طلوع الشمس يوم الجمعة، ودفن قبل غروب الشمس.

وموته يوم الجمعة زيادة فضيلة، فقد توفي فيها سادات، وورد أن الموت فيها وقاية من فتنة القبر.

وممن مات فيها غيره:

عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والحسين بن علي، والعباس بن

عبد المطلب، والحسن البصري، وابن سيرين، وخلق كثير رحمهم الله تعالى.

أما غسله، وكفنه، والصلاة عليه، وما جرى عند حمل جنازته، ودفنه، وما خلف من التركة:

فقال صالح: لما توفي أبي واجتمع الناس في الشوارع، وجهتُ إليهم أُعلمهم بوفاته، وأني أخرجه بعد العصر، ووجَّه ابن طاهر بحاجبه مظفر ومعه غلامان، معهم مناديل فيها ثياب وطيب، فقالوا: الأمير يقرئك السلام ويقول: قد فعلت ما لو كان أمير المؤمنين حاضره كان يفعل ذلك، فقلت له: أقرئه السلام، وقل له: إن أمير المؤمنين كان قد أعفاه في حياته مما كان يكره، ولا أحب أن أتبعه بعد موته بما كان يكره في حياته، فعاد وقال: يكون شعاره ولا يكون دثاره، فأعدت عليه مثل ذلك، وقد كان غزلت له الجارية ثوباً عشارياً قوم ثمنه عشرين درهماً، فقطع منه قميصين، فقطعنا له لفافتين، وأخذنا له من فُوران لفافة أخرى، فأدرجناه في ثلاث لفائف، واشترينا له حنوطاً، وقد كان بعض أصحابنا من العطَّارين سألني أن يوجه بحنوط فلم أفعل، وصَبَّ في حَبٍّ لنا ماءً فقلت: قولوا لأبي محمد يشتري راوية ويصب الماء في الحب الذي كان يشرب منه، فإنه كان يكره أن يدخل إليه من منازلنا شيء.

وفرغ من غسله، وكفَّنَّاه، وحضر نحو من مئة من بني هاشم ونحن نكفنه، فجعلوا يقبلون جبهته حين رفعناه على السرير. وقال المرُّوذي لما أردت غسله جاء بنو هاشم، فاجتمعوا في الدار خلقاً كثيراً، فأدخلناه البيت، وأرخينا الستر وجلَّلْته بثوب حتى فرغنا من أمره، ولم يحضره أحد من الغرباء ونحن نغسله، فلما فرغنا من غسله وأردنا أن نكفنه غلبنَا عليه بنو هاشم، وجعلوا يبكون عليه، ويأتون بأولادهم فيكبونهم عليه ويقبلونه، فوضعناه على السرير، وشددناه بالعمائم، وأرسل ابن طاهر بأكفان فرددتها، وقال عمُّه للرسول: هو لم يدع غلامي يرى وجهه. وقال له رجل: قد أوصى أن يكفن في ثيابه. فكفَّنَّاه في ثوب له مَرَوِيٍّ أراد أن يقطعه، فزدنا فيه، وصيَّرناه ثلاث لفائف.

أما من تقدم في الصلاة عليه:

فقال عبد الله بن أحمد: صلى عليه محمد بن عبد الله بن طاهر. غلبنا على الصلاة عليه، وقد كنا صلينا عليه نحن والهاشميون داخل الدار قبل أن نخرجه.

وأما كثرة الجمع الذين صلوا عليه:

فقال ابن أبي صالح القنطري: شهدت الموسم أربعين عاماً ما رأيت جمعاً قط أكثر من الجمع الذين حضروا جنازة أحمد بن حنبل.

وقال عبد الوهاب الورَّاق: ما بلغنا أن جمعاً كان في الجاهلية أو في الإسلام مثله، حتى بلغنا أن الموضع حزر على التصحيح فإذا هو نحو من ألف ألف، وحزرنا على السور نحواً من ستين ألف امرأة، وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدروب ينادون من أراد الوضوء، وكثر ما اشترى الناس من الماء فسقوه.

وكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة، وبعث أمير المؤمنين عشرين حازراً ليحزروا كم صلى على أحمد بن حنبل، فحزروا ألف ألف وثلاث مئة ألف سوى من كان في السفن. فهذا فضل عظيم. وقد قال أحمد رحمه الله: فرق ما بيننا وبين أهل البدع الجنائز.

أمَّا ما جرى عند حمل جنازته من مدح السنّة وذم البدعة:

فإنه لما صلَّى الناس على أحمد ظهر اللعن على الكرابيسي، فأخبر المتوكل بذلك فقال: من الكرابيسي؟ فقيل: رجل أحدث قولاً لم يتقدمه أحد. فأمره بلزوم بيته حتى مات. وكذا بشر المريسي فقد كثر لعنه أيضاً.

وقال عبد الوهاب الوراق: أظهر الناس من جنازة أحمد بن حنبل السنّة والطعن على أهل البدعة، فسرَّ الله المسلمين بذلك على ما عندهم من المصيبة لما رأوا من العزّ وعلوّ الإسلام، وكبت الله أهل البدع والزيغ والضلالة.

وأما ما خلَّف من التركة:

فمات رحمه الله ولم يخلِّف سوى ستة قطع أو سبعة كانت في خرقة، وخرقة كان يمسح بها وجهه قدر دانقين.

أما تأثير موته عند الإنس والجن والتعازي به:

فقال الوركاني جار أحمد بن حنبل: يوم مات أحمد وقع المأتم والنوح في أربعة أصناف من الناس: المسلمين واليهود والنصارى والمجوس، وأسلم يوم مات عشرة آلاف، وما من أهل بيت لم يدخل عليهم يوم مات أحمد الحزن إلا بيت سوء.

قلت: هذه القصة ذات أهمية، وفيها مبالغة شديدة، حتى قال الذهبي في الميزان: «الوركاني هذا شيخ لا يعرف، ولا يُدرى من هو، ولم يتابعه على هذا القول أحد. ولو وقع هذا لتوفرت الهمم على نقل مثله» انتهى. وتابعه على هذا الإنكار كثير من المتأخرين، ولكن عندي أن في قول الذهبي نظراً، فقد قال النابلسي في الوركاني هذا: «إنه نقل عن أحمد أشياء، وسمع منه أحمد بن حنبل أيضاً». وقال ابن حجر في التهذيب: «محمد بن جعفر بن زياد بن أبي هاشم الوركاني، أبو عمران الخراساني، سكن بغداد، روى عن: عبد الرحمن بن أبي الزناد، ومالك بن أنس، وفضيل بن عياض، وشريك بن عبد الله، وأبي معشر المدني، وأيوب بن جابر اليمامي، ومعمر بن سليمان الرقي، والمعافى بن عمران الموصلي، ومعتمر بن سليمان التيمي في آخرين. وعنه: مسلم، وأبو داود، وروى النسائي عن أبي بكر بن علي المروذي عنه، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة، وابن أبي الدنيا، وعبد الله بن أحمد، وموسى بن هارون، وإبراهيم بن الجنيد الختلي، والمعمري، وعباس الدوري، والحارث بن أبي أسامة، وأحمد بن علي الأبّار، وأبو يعلى، وأبو القاسم البغوي، وآخرون. قال أبو داود: رأيت أحمد بن حنبل يكتب عنه. وقال أبو زرعة: كان جار أحمد بن حنبل، وكان يرضاه، وكان صدوقاً ما علمته. وقال صالح بن محمد: كان أحمد يوثقه، ويشير به. وقال عبد الخالق بن منصور عن ابن معين: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن سعد وغيره: مات في رمضان سنة ثمان وعشرين ومئتين.

قلت: وبهذا أرَّخه ابن قانع، وقال: كان ثقة. انتهى المراد منه، وكذا في الخلاصة أنه توفي سنة ثمانٍ وعشرين ومئتين. وبهذا تعلم أن القصة ليست صحيحة،

لأن وفاة الإمام أحمد سنة إحدى وأربعين، ووفاة الوركاني سنة ثمان وعشرين، فيكون الوركاني قد توفي قبل الإمام أحمد بثلاثة عشر سنة، وبذلك يعلم بطلان هذه القصة قطعاً، ولكن قول الذهبي إنه وركاني آخر مجهول، فيه نظر، فإن في الرواية التصريح بأنه الوركاني جار أحمد، ومَرّ بك في قول أبي حاتم الرازي أن محمد بن جعفر هذا هو جار أحمد، فلعل الواضع لها أحد الرواة الذين بعده، ولنذكر سند هذه القصة الذي أورده ابن الجوزي:

قال ابن الجوزي: أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب. وأخبرنا محمد بن ناصر، قال أنا عبد القادر بن محمد بن يوسف، قال إبراهيم بن عمر البرمكي، وأخبرنا عبد الله بن علي المقري، قال أنا عبد الملك بن أحمد السيوري، قال أنا عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل، قالا: ثنا علي بن عبد العزيز بن مردك، وأخبرنا إسماعيل بن أحمد، ومحمد بن عبد الباقي قالا: أنا حَمْد بن حمد قال: أنا أحمد بن عبد الله الحافظ أبو نعيم قال: سمعت ظفر بن أحمد يقول: حدثني الحسين بن علي، قال حدثني أحمد الوراق، قال حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، قال حدثني أبي قال حدثني أبو بكر محمد بن عَيَّاش قال: سمعت الوركاني جار أحمد بن حنبل يقول، به، فلينظر في سنده.

أما تأثير موته عند الجن:

فقال رجل: أنا من اليمن، وكانت لي بنت مصابة، فجِيئَتْ بالعزَّامين، فعزموا عليها، ففارقها الجنيّ على أن لا يعود، فعاودها بعد سنة، فقلت: أليس قد فارقت على أن لا تعود قال: بلى، ولكن مات اليوم رجل بالعراق يقال له أحمد بن حنبل، فذهبت الجن كلها تصلي عليه إلا المردة وأنا منهم، ولست أعود بعد يومي هذا، فما عاد.

وقال محمد بن أحمد بن محمود: كنت في البحر مقبلاً من ناصية السِّنْد، فقمت في الليل، فإذا هاتف من ناحية البحر يقول: مات العبد الصالح أحمد بن حنبل،

فقلت لبعض من كان معنا: من هذا؟ فقال: هذا من صالحي الجن. ومات أحمد تلك الليلة.

وقال أبو زرعة: كان يقال عندنا بخراسان: إن الجن نعت أحمد بن حنبل بعد موته بأربعين صباحاً.

وقال صالح بن أحمد: كان أهلنا يذكرون أنهم كانوا يسمعون رنة لا تشبه رنة الإنس من دار أبي إذا هدأت العيون بعد وفاته بأربعين صباحاً.

أما التعازي به:

فذكر أولاده أن خلقاً كثيراً عزوهم فيه، وأن جماعة من الصالحين لم يُعْرفوا جاؤوا للتعزية.

قال صالح: جاءنا كتاب المتوكل بعد أيام من موت أبي، وجاء كتاب أخ لي يعزيني عن أبي: «بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فإن الله عزَّ وجلَّ حتم الموت على عباده حتماً، عدلاً، على بريته كافة، قضاءً فصلاً حتى يأتي ذلك على جميع من ذرأ وبرأ، وكان ممن أتى عليه حتم الله عزّ وجلّ وقضاؤه: أبو عبد الله رحمة الله عليه. دعاه الله إليه فأجابه، راضياً مرضياً، نقياً من الدَّنَس والعيب، طاهر الثوب، غير مبتدع، ولا ضالٍّ، ولا مُضلّ، ولا زائغ عن هدًى، ولا مائل إلى هوًى، لم يرهبه وعيد إلى أن نقله الله إليه وإلى جواره، فلمثل ما صار إليه من كرامة الله فليعمل العاملون، وعلى أن المصيبة به قد مضت، وأرمضت، وأبلغت من القلوب، فأنا أعزيك وعامة المسلمين ممن يقرأ كتابنا هذا بما أمر الله به، منجزاً لما وعد من صلاته ورحمته وهداه لمن احتسب، وصبر، وسلم، ورضي بحكم الله النافذ على جميع خلقه، فقد مضى على أحسن حالاته، وأحسن قصده وهديه، ثابت على حزمه وعزمه، أرَادَتْه الدنيا ولم يُرِدْها، لم تأخذه في الله لومة لائم، فقد كلم وثلم في الإسلام فقده، وأنا أسأل الله الذي يجود بالجزيل ويعطي الكثير أن يصليَ على محمد عبده ورسوله، وأن يعطيَ أبا عبد الله أفضل ما أعطى أحداً من أوليائه الذين خلقهم لطاعته، وأن يعليَ درجته، ويرفع ركنه، ويجعل مجلسه مع النبيِّين والصِّدِّيقين

والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، وأن يهب لك الصبر الذي يبلغك ما وعد الصابرين، ويقيناً يوجب لك ثواب المحسنين، فإنه وليُّ النعم، وبيده الخير، وهو على كل شيء قدير».

وقال رجل من أهل العلم يوم دفن أحمد لآخر: تدري من دفنا اليوم؟ قال: من؟ قال: سادس خمسة. قال: من هم؟ قال: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز، وأحمد بن حنبل. وكأنه عنى كل واحد في زمانه.

أما الأشعار التي مدح بها في حياته، ورثي بها بعد وفاته فهي كثيرة جداً وسأتركها طلباً للاختصار، ولكن سأشير إلى بعضها، وأكتفي بإيراد بيت واحد من كل قصيدة. فمن ذلك:

قصيدة أبي سعيد اليخامري في أحمد التي منها:

فأنت أبا عبد الإله مسدَّد ... بتسديد ذي العرش الرفيع الدعائم

ومن ذلك قول إسماعيل ابن فلان الترمذي فيه، وهو في المحنة ومطلعها:

تبارك من لا يعلم الغيب غيره ... ومن لم يزل يُثْنَى عليه ويُذْكَرُ

وهي طويلة جداً.

ومن ذلك ما أنشده الهيضم بن أحمد لأبيه في أحمد، ومنها:

يا ناعيَ العلم بيوم أحمدا ... نعيت بحراً كان يجري مزبدا

وله أيضاً أخرى فيه ومنها:

للزاهدين مع الدموع دموع ... والعابدين لهم عليك خشوع

وله أخرى فيه ومنها:

لتبك عيون مسبلات بوبلها ... على زينة الدنيا وعالم أهلها

ومن ذلك قول علي بن حجر، ومنها:

نعى لي إبراهيم أورع صالح ... سمعت به من مُعْدِمٍ ومُخَوَّلِ

ومن ذلك قول أبي مزاحم الخاقاني فيه، ومنها:

جـــزى الله ابـــن حنبـــل التَّقيَّـــا عـــن الإســـلام إحســـانـــا هنيّـــا

ومن ذلك قوله فيه أيضاً:

لقـد صـار فـي الآفـاق أحمـد محنـةً وأمـر الـورى فيـه فليـس بمشكـل

ومن ذلك قول ابن الخباز فيه، ومنها:

ومـن أفْضَـت الـدنيـا إليـه فعـافَهَـا وقـال هبلـتِ الـديـن أنبـل مثكـل

وهي طويلة جداً.

ومن ذلك قول جعفر السَّراج منها:

سقـى الله قبـراً حـلَّ فيـه ابـن حنبـل مـن الغيـث وَسْمِيًّـا علـى إثـرهِ ولـي

ومن ذلك قول عبد الله بن محمد الأنصاري، ومنها:

وإمـــامـــيَ القَـــوَّامُ لله الـــذي دفنـوا حميـد الشـأن فـي بغـدان

وهذا الباب واسع جداً، اكتفيت منه بهذا القدر طلباً للاختصار.

وأما المنامات التي رآها أحمد، أو رئي فيها، أو رئيت له:

فقال عبد الله، قال أبي: رأيت ربَّ العزة عزَّ وجلَّ، فقلت: يا رب، ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ فقال: كلامي يا أحمد. قال قلت: يا رب بفهم أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم.

وقال صدقة بن الفضل: أقبلت من الكوفة أريد بغداد، وليس معي نفقة، فلما بلغت نهر (صرصر) اشتدَّ بي الجوع، فدخلت مسجداً فنمت، فإذا برجل يحركني برجله، فانتبهت، فإذا أحمد بن حنبل ومعه حمال معه خبز وغيره، فقال: إني أُتيت البارحة في المنام، فقيل لي: صديقك صدقة بن الفضل أقبل من الكوفة وهو بحال فأَدْرِكْه.

أما المنامات التي رئي فيها أحمد فهي كثيرة جداً، وسأذكر منها البعض:

فمن ذلك: قول مِهْران الحمال: رأيت أحمد بن حنبل في المنام، وكأنَّ عليه برداً مخططاً أو معيناً، وكأنه بالري يريد المصير إلى الجامع يوم الجمعة، فاستعبرت بعض أهل التعبير، فقال: هذا يشتهر بالخير، فما أتى عليه إلا قريب حتى ورد ما ورد من أمر المحنة.

وقال أبو حاتم الرازي: رأيته في المنام أفخم ما كان، وأحسن وجهاً، فجعلت أسأله الحديث وأذاكره.

ورأى رجل كأن ملكاً نزل من السماء ومعه سبعة تيجان، فأول من توَّج من الدنيا أحمد بن حنبل.

وقال زكريا بن يحيى السمسار: رأيته في المنام، وعلى رأسه تاج مرصع بالجوهر، في رجليه نعلان، وهو يخطو بهما، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأدناني من نفسه، وتوَّجني بيده، وقال: هذا بقولك: «القرآن كلام الله غير مخلوق». فقلت: ما هذه الخَطْرَة التي لم أعرفها في دار الدنيا؟ قال: هذه مِشْيَة الخَدَّام في دار السَّلام.

وقال محمد بن خزيمة: لمَّا مات أحمد بن حنبل اغتممت غمًّا شديداً، فبتُّ من ليلتي فرأيته في المنام وهو يتبختر في مشيته، فقلت له: أيُّ مِشْيَةٍ هذه؟ فقال: مِشية الخدام في دار السلام. فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وتوَّجني وألبسني نعلين من ذهب، وقال لي: يا أحمد هذا بقولك: القرآن كلامي، ثم قال لي: يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفيان الثَّوري كيف تدعو بهن في دار الدنيا. فقلت: يا ربَّ كلِّ شيء، لا تسألني عن شيء، اغفر لي كلَّ شيء. فقال لي: يا أحمد هذه الجنة فقم فادخل إليها فدخلت فإذا أنا بسفيان الثَّوري، وله جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة، وهو يقول: ﴿الحمدُ لله الذي صَدَقَنا وَعْدَه وأورَثَنَا الأرضَ نتَبَوَّأُ من الجَنَّةِ حيثُ نَشَاءُ فنِعْمَ أجر العَامِلِين﴾ قال: فقلت: ما فعل عبد الوهاب الورَّاق؟ قال: تركته في بحر من نور، في زلال من نور، يزور ربَّه الملك الغفور. فقلت: ما فعل

بِشْر؟ قال: بخ بخ، ومن مثل بشر؟! تركته بين يدي الجليل، وبين يديه مائدة من الطعام، والجليل يقول وهو مقبل عليه: كل يا مَنْ لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب، وانعم يا من لم ينعم.

ورويت هذه الحكاية من وجه آخر، وفيها زيادة: قال أحمد: قال الله لي يا أحمد: لم كتبت عن حريز بن عثمان؟ فقلت: يا رب كان ثقة. فقال: صدقت، ولكنه كان يبغض علياً أبغضه الله... إلى آخر الحكاية. قال: فلما أصبحت تصدقت بعشرة آلاف درهم.

ورويت أيضاً من وجه آخر بزيادة: فقلت يا أحمد: ما فعلت مِسْكينةُ الطُّفَاوِيَّة؟ قال لما سألت عنها، فإذا هي ورائي تقول: هَيْهات هَيْهات ذهبت المَسْكَنَة اليوم وجاء الغنى.

وقال بعضهم: رأيت كأن القيامة قد قامت، وإذا برجل جاء على فرس به من الحُسْن ما الله به عليم. ومنادٍ ينادي ألا لا يتقدمَنَّ اليوم هذا أحد. قلت من هذا؟ قالوا: أحمد بن حنبل.

وقال عبد الله: رأيت أبي في النَّوم، فقلت: يا أبتِ ما فعَل الله بك؟ قال: وقفني بين يديه، وقال: يا أحمد بسببي ضُربتَ، ومن أجلي امتُحنت، هذا وجهي قد أبحتك النظر إليّ.

ورأى أحمد بن محمد الكندي مثل ذلك.

وقال علي بن الموفق: رأيت كأني أدخلت الجنة، فإذا أنا بثلاثة نفر: رجل قاعد على مائدة، قد وكل الله به ملكين: ملك يطعمه، وملك يسقيه. وآخر واقف على باب الجنة، ينظر إلى وجوه قوم فيدخلهم. وآخر واقف في وسط الجنة شاخص ببصره إلى السماء، ينظر إلى الرب. فجئت إلى رضوان، فقلت: مَنْ هؤلاء؟ فقال: أما الأول: فبشر الحافي: خرج من الدنيا وهو جائع عطشان. وأما الثاني الواقف في وسط الجنة: فمعروف الكرخي عَبَدَ الله شوقاً منه للنظر فقد أعطي. وأما الواقف على باب الجنة:

فأحمد بن حنبل أمره الجبار أن ينظر إلى وجوه أهل السُّنَّة فيأخذ بأيديهم فيدخلهم الجنة.

وهذا باب واسع جداً.

أما المنامات التي رئيت له:

فمن ذلك قول عبد الله بن أحمد: قال محمد بن الفرج: لما نزل بأحمد من الحبس والضرب ما نزل دخل عليَّ من ذلك مصيبة، فأُتيت في منامي فقيل لي: أما ترضى أن يكون عند الله عزّ وجلّ بمنزلة أبي السَّوَّار العدوي؟ فأخبرتُ أحمدَ، فاسترجع.

وقال إسحاق المدائني: رأيت في المنام كأن الحجر الأسود انصدع، وخرج منه لواء، فقلت: ما هذا؟ فقيل: أحمد بن حنبل قد بايع الله عزّ وجلّ، وكان في اليوم الذي ضرب فيه أحمد بن حنبل.

وهذا باب واسع أيضاً أضربنا عن ذكره للاختصار.

obeikandl.com

(ذكر عقوبة من آذاه، وما قيل فيمن تنقَّصه، وسبب اختيارنا لمذهبه على مذهب غيره، وفضل أصحابه وأتباعه)

أما عقوبة من آذاه، وما قيل فيمن تنقَّصه: فقال محمد بن الفضل: تناولت مرة أحمد بن حنبل، فوجدت في لساني ألماً لم أجد القرار منه، فبتّ ليلة، فأتاني آتٍ فقال: هذا بتناولك الرجل الصالح! فانتبهت فلم أزل أتوب إلى الله حتى سكن.

وقال مسعر بن محمد بن وهب: كنت مؤدِّباً للمتوكل قبل أن يلي الخلافة، أنزلني في حُجْرة من حُجَرِ الخلافة، فربما كانت تعرضُ في فكرته مسألة في الدين، فيوجه إليَّ يسألني عنها، وكان إذا جلس للخاصَّة أقوم على رأسه، فإن افتقدني دعاني حتى أقف موقفي لا يخليني منه ليلاً ولا نهاراً إلا في وقت خلوته، وإنه جلس للخاصة ذات يوم في مجلسه الذي كان يسمى الوديع، ثم قام منه حتى دخل بيتاً له من قوارير سقفه وحيطانه وأرضه، وقد أجري له الماء فيه، فالماء يعلو على البيت وأسفله وحيطانه، يتقلب فيه، يرى من هو داخله كأَنه في جوف الماء جالس، وقد فرش له فراش قباطي مصر، ومساندها ومخادها الأرجوان، فجلس في مجلسه، وجلس عن يمينه الفتح بن خاقان وعبيد الله بن خاقان، وعن يساره بغا الكبير ووصيف، وأنا واقف في زاوية البيت التميمي مما يليه، وخادم آخذ بعضادتي الباب واقف، إذ ضحك المتوكل، فأرَمَّ القوم وسكتوا، فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ قالوا: مِمَّ ضحك أمير المؤمنين أضحك الله سنّه؟ فقال: أضحكني أني ذات يوم واقف على رأس الواثق، وقد قعد للخاصة في مجلسي الذي كنت فيه جالساً، وأنا واقف على رأسه، إذ قام من مجلسه حتى جاء فدخل هذا البيت الذي دخلته، فجلس في مجلسي هذا، ورُمْتُ الدخول فمنعت، ووقفت حيث الخادم واقف، وجلس ابن أبي دؤاد في مجلسك يا فتح، وجلس محمد بن عبد الملك بن الزيَّات في مجلسك يا عبيد الله، وجلس إسحاق بن إبراهيم في مجلسك يابغا، وجلس نجاح في مجلسك يا وصيف،

إذ قال الواثق: والله لقد فكَّرتُ فيما دعوتُ الناس إليه من أن القرآن مخلوق، وسرعة إجابة من أجابنا، وشدة خلاف من خالفنا، حتى حَمَلْنَا مَنْ خَالفَنَا على السَّوط، والسيف، والضرب الشديد، والحبس الطويل، ولا يردعه ذلك، ولا يرده إلى قولنا، فوجدت مَنْ أجابنا رغب فيما في أيدينا، فأسرع في إجابتنا رغبة منه فيما عندنا، ووجدتُ مَنْ خالفنا منعه دِينٌ وورع عن إجابتنا، وصَبَرَ على ما يناله من القتل والضرب والحبس، فوالله لقد دخل قلبي من ذلك اليوم أمر، شككتُ فيما نحن فيه، وفي محنة من نمتحنه، وعذاب من نعذبه في ذلك، حتى هممت بترك ذلك الكلام والخوض فيه، ولقد هممت أن آمر بالنداء في ذلك، وأكف الناس بعضهم عن بعض. فبدأ ابن أبي دؤاد فقال: الله الله يا أمير المؤمنين أن تميت سنة قد أحييتها، وأن تبطل ديناً قد أقمته، وقد جهد الأسلاف فما بلغوا فيه ما بلغت، فجزاك الله عن الإسلام والدِّين خير ما جزى ولياً عن أوليائه. ثم أطرقوا رؤوسهم ساعة يفكرون في ذلك، فبدأ ابن أبي دؤاد، وخاف أن يكون من الواثق في ذلك أمر ينقض عليه قوله، ويفسد عليه مذهبه، فقال: والله يا أمير المؤمنين: إن هذا القول الذي نحن عليه، وندعو الناس إليه لهو الذي ارتضاه الله لأنبيائه ورسله، وبعث به نبيه محمداً ﷺ، ولكن عمي الناس عن قبوله. فقال الواثق: فإني أريد أن تباهلوني على ذلك! فقال ابن أبي دؤاد: ضربه الله بالفالج في الدنيا قبل الآخرة إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقاً «إن القرآن مخلوق».

وقال محمد بن عبد الملك الزيَّات: وهو فيسمِّر الله بدنه بمسامير من حديد في دار الدنيا قبل الآخرة إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقاً «إن القرآن مخلوق».

وقال إسحاق بن إبراهيم: فأنتن الله ريحه في دار الدنيا قبل الآخرة حتى يهرب منه حميم وقريب إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقاً «إن القرآن مخلوق».

وقال نجاح: وهو فقتله الله في أضيق مجلس إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقاً «إن القرآن مخلوق».

ودخل عليهم إيتاخ: وهم في ذلك فأخذوه على البديهة، وسألوه عن ذلك

فقال: وهو فأغرقه الله في البحر إن لم يكن ما يقوله أمير المؤمنين حقاً «إن القرآن مخلوق».

فقال الواثق: وهو فأحرق الله بدنه بالنار في دار الدنيا قبل الآخرة إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقاً «إن القرآن مخلوق».

فأنا أضحك من أنه لم يَدْعُ أحدٌ منهم بدعوة على نفسه يومئذٍ إلا استجيبت.

أما ابن أبي دؤاد: فقد رأيت ما نزل به من الفالج.

وأما ابن الزيَّات: فأنا أقعدته في تنور من حديد، وسمَّرت بدنه بمسامير من حديد.

وأما إسحاق: فإنه مرض مرضه الذي مات فيه، فأقبل يعرق عرقاً منتناً حتى هرب منه الحميم والقريب، وكان يُلقَى عليه كل يوم عشرون غلالة، فتؤخذ منه وهي مثل الجيفة، ويرمى بها في دجلة، ولا ينتفع بها، فتقطع من شدة النتن والعرق.

وأما إيتاخ: فأنا كتبت إلى إسحاق بن إبراهيم، وقد رجع من الحج: كبِّله بالحديد وأغرقه.

وأما الواثق: فإنه كان يحب النساء وكثرة الجماع، فوجَّه يوماً إلى ميخائيل الطبيب: ابغني دواءً للباءة، فقال: يا أمير المؤمنين بدنك فلا تهدَّه، فإن كثرة الجماع تهدُّ البدن، ولا سيما إذا تكلَّف الرجل ذلك، فاتق الله في بدنك، وأبق عليك، فليس لك من بدنك عوض، فقال له: لا بدّ منه! ثم رفع القطيفة عنه، فإذا بين يديه وصيفة قد ضمها إليه، ذكر من هيأتها وجمالها أمراً عجيباً. فقال: ومن يصبر عن مثل هذه؟ قال: فإن كان ولا بدّ، فعليك بلحم السبع، فأُمر أن يؤخذ لك رطل فيغلى سبع غليات في خل خمر عتيق، فإذا جلست على شربك أمرت أن يوزن لك منه ثلاثة دراهم، فانتقلت به على شربك ثلاث ليال، فإنك تجد فيه بغيتك، واتق الله في نفسك، ولا تسرف فيها، ولا تجاوز عما أمرتك به. فلهى عنه أياماً، فبينا هو ذات يوم جالس على شرابه إذ ذَكَرَهُ فقال: عليَّ بلحم السبع الساعة، فأخرج له سبع من الجُبّ، وذبح

من ساعته، وأَمرَ فكبب له منه، ثم أمر فأغلي منه بالخل، ثم قدم له منه، فأخَذ ينتقل به على شرابه، وأتتْ عليه الأيام والليالي فسقى بطنُه، فجمع له الأطباء فأجمعوا كلهم على أنه لا دواء له إلا أن يسجر تنور بحطب الزيتون، ويسجر حتى يمتلىء جمراً، فإذا امتلأ كُسِحَ ما في جوفه فألقي على ظهره، وحشي جوفه بالرَّطبة، ويقعد فيه ثلاث ساعات من النهار، فإذا استسقى ماءً لم يُسْق، فإذا مضت ثلاث ساعات كوامل أخرج منها، وأجلس جلسة منتصبة على نحو ما أمروا به، فإذا أصابه الروح وجد لذلك وجعاً شديداً، وطلب أن يردَّ إلى التَّنور فلا يرد، وترك على حاله حتى تمضي ساعتان من النهار، ثم يجري ذلك الماء، ويخرج من مخارج البول. فإن سقي ماءً أو رُدَّ إلى التنور كان ذلك تَلَفَهُ.

فأمر بتنور فاتُّخذ له، وسُجر بحطب الزيتون حتى إذا امتلأ جمراً أُخرج ما فيه، وجعل على ظهره، ثم حُشي بالرَّطبة، وعُرِّي وأُجْلِسَ فيه، وأقبلَ يَصيحُ ويستغيث ويقول: أحرقتموني اسقوني ماءً، وقد وُكِّل به من يمنعه الماءَ، ولا يدعه أن يقوم من موضعه الذي قد أُقْعِدَ فيه، ولا يتحرك، فتَنَفَّطَ بدنهُ كله، فصارت فيه نفاخات مثل أكبر البطيخ وأعظمه، فترك على حالته حتى مضت ثلاث ساعات من النهار، ثم أخرج وقد كاد أن يحترق، ويقول القائل في رأي العين: قداحترق: فأجلسه المتطببون فلما وجد روح الهواء اشتدَّ به الوجع والألم، وأقبل يصيح، ويخور خوار الثور: ردُّوني إلى التنور، ردوني إلى التنور، فإني إن لم أردَّ متُّ، فاجتمع نساؤه وخواصه لما رأوا به من شدة الألم والوجع وكثرة الصياح، فرَجَوْا في أن يكون فَرَجُه في أن يرد إلى التنور فَرَدُّوه إلى التَّنور ثانيةً، فلما وَجَدَ مَسَّ النار سكن صياحه، وتفطَّرت النفَّاطات التي خرجت ببدنه، وخمدت وبرد جوف التنور، فأخرج من التنور وقد احترق وصار أسود كالفحم، فلم تمضِ به ساعة حتى قضى.

فأضحكُ أنه لم يَدْعُ أحد منهم على نفسه بدعوة في تلك الساعة إلا استُجيبت.

وفي هذا الباب حكايات أخرى تركتها للاكتفاء بهذه القصة العجيبة.

أما ما قيل فيمن تنقصه:

فقال محمد بن هارون: إذا رأيتَ الرجل يقع في أحمد بن حنبل فاعلم أنه مبتدع.

وقال نعيم بن حماد: إذا رأيت العراقي يقع في أحمد بن حنبل فاتَّهمه في دينه، وإذا رأيت الخراساني يتكلم في إسحاق بن راهويه فاتَّهمه في دينه.

وقال أبو زرعة الرازي: إذا رأيت الكرخي يطعن في سفيان الثَّوري وزائدة فاعلم أنه رافضي، وإذا رأيت الشَّامي يطعن في مكحول والأوزاعي فاعلم أنه ناصبي، وإذا رأيت البصريَّ يطعن في أيوب السختياني وابن عون فاعلم أنه قَدَرِي، وإذا رأيت الخراساني يطعن في عبد الله بن المبارك فاعلم أنه مرجيء. واعلم أن هذه الطوائفَ كلَّها مجمعةٌ على بغض أحمد بن حنبل، لأنه ما منهم أحد إلا وفي قلبه منه سهم لا يزيله، وكان إبراهيم بن سعد يُعرِّض بأحمد بن حنبل فوضعه الله تعالى، ورفع أحمد بن حنبل.

وقال إبراهيم الدورقي: مَنْ سمعتموه يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتَّهموه على الإسلام.

وقال أبو الحسن الهَمَذاني: أحمد محنة يُعرف به المسلم من الزنديق.

وقال الحسين الكرابيسي: مَثَلُ الذين يذكرون أحمد بن حنبل مثل قوم يجيئون إلى أبي قبيس يريدون أن يهدموه بنعالهم.

وهذا باب واسع أيضاً، ويكفي منه ما ذكرنا.

أما سبب اختيارنا لمذهبه على مذهب غيره، وفضل أصحابه وأتباعه:

فاعلم أنَّه إنما يتبين الصواب في الأمور المشتبهة لمن أعرض عن الهوى، والتفت عن العصبية، وقصد الحق، ولم ينظر في أسماء الرجال وصِيَتِهِم، فذلك الذي ينجلي له غامض المشتبه، فأما من مال به الهوى فعسير تقويمه. فإذا نظرنا إلى الشرع، وأصول الفقه، وأحوال المجتهدين رأيناه أوفرهم حظاً من تلك العلوم، فإنَّه كان من الحافظين لكتاب الله عزّ وجلّ.

قال القطيعي: قرأت على عبد الله بن أحمد، ولقنني القرآن كله وقال: لقنني أبي القرآن كله باختياره. وقرأ أحمد على يحيى بن آدم وعبيد الله بن الصباح وإسماعيل بن جعفر، وغيرهم بإسنادهم.

وكان أحمد لا يميل شيئاً من القرآن، ويروي الحديث «أنزل القرآن مُفَخَّماً فَفَخِّمُوهُ».

وكان لا يدغم شيئاً من القرآن إلا ﴿اتخذتم﴾ ويمدُّ مداً متوسطاً.

وكان من المصنفين في علوم القرآن من التفسير والناسخ والمنسوخ، والمقدَّم والمؤخَّر إلى غير ذلك مما تقدم في ذكر تصانيفه.

وأما النقل: فقد سُلِّم له انفراده فيه بما لم ينفرد سواه من الأئمة من كثرة محفوظه منه، ومعرفة صحيحه من سقيمه، وفنون علومه. وقد ثبت أنه ليس في الأئمة الأعلام قبله من له حظ من الحديث كحظ مالك بن أنس.

ومن أراد معرفة مقام أحمد في ذلك من مقام مالك فلينظر ما بين المسند والموطأ من الفرق، فقد كان أحمد يذكر الجرح والتعديل والعلل من حفظه إذا سئل كما يقرأ الفاتحة، ومن نظر في كتاب العلل لأبي بكر الخلاَّل عرف ذلك. ولم يكن هذا لأحد منهم. وكذلك انفراده في علم النقل بفتاوى الصَّحابة وقضاياهم، وإجماعهم واختلافهم، لا ينازع في ذلك.

وأما علم العربية فقال أحمد: كتبت أكثر مما كتب أبو عمرو الشيباني.

وأما القياس فله من الاستنباط ما يطول شرحه. وقد تقدم شيء من ذلك في قوة فقهه.

ثم إنه ضم إلى هذه العلوم ما عجز عنه القوم من الزهد في الدنيا، وقوة الورع، ولم ينقل عن أحد من الأئمة أنه امتنع من قبول أوقاف السلطان، وهدايا الإخوان كامتناعه.

ثم إنه ضم إلى ذلك الصبر على الامتحان، وبذل المهجة في نصرة الحق، ولم يكن ذلك لغيره.

قال الشافعي: قال لي محمد بن الحسن: صاحبنا أعلم أم صاحبكم؟ قلت: تريد المكابرة أم الإنصاف؟ قال: بل الإنصاف. قلت: فما الحجة عندكم؟ قال: الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع، والقياس. قلت: أنشدك الله صاحبنا أعلم بكتاب الله أم صاحبكم؟ قال: إذا نشدتني بالله فصاحبكم! قلت: فصاحبنا أعلم بالسُّنَّة أم صاحبكم؟ قال: صاحبكم. قلت: فصاحبنا أعلم بأقاويل الصَّحابة أم صاحبكم؟ فقال صاحبكم. قلت: فهل بقي شيء غير القياس؟ قال: لا. قلت: فنحن ندعي القياس أكثر مما تَدَّعونه، وإنما يقاس على الأصول فيعرف القياس.

وإنما أراد الشافعي رحمه الله مالك بن أنس.

وأردت بإيراد هذه القصة: أن فضل أحمد على مالك قد عُرِف، فقد حَصَّل ما حَصَّله مالك وزاد عليه، كما ذكرنا باعتبار المسند والموطأ.

وقد كان الشافعي رحمه الله عالماً بفنون العلم إلا أنه سَلَّم لأحمد علم النقل الذي عليه مدار الفقه.

قال أحمد: قال الشافعي: أنتم أعلم بالحديث مِنَّا، فإذا صَحَّ الحديثُ عندكم فقولوا لنا حتى نذهب إليه.

وقال مرة: يا أبا عبد الله أنتم أعلم بالأخبار الصِّحاح منا، فإذا كان خبرٌ صحيح فأعلمني حتى أذهب إليه، كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً.

وقال عبد الله بن وكيع: ما حَدَّث به الشافعي في كتابه فقال: حدثني الثقة، أو أخبرني الثقةُ فهو أحمد بن حنبل، وكتابه الذي صَنَّفه ببغداد أعدل من الذي في مصر، وذلك أنه حيث كان ببغداد يسأل أحمد فيغير عليه، ولم يكن بمصر من يغير عليه إذا ذهب إلى حديث ضعيف. وكان أحمد يقول: استفاد منا الشافعي أكثر مما استفدنا منه.

وقال ابن راهويه: ما رأى الشافعي مثل أحمد.

وقال أبو حاتم الرَّازي: أحمد بن حنبل أكبر من الشافعي، تعلَّم الشافعي أشياءَ من معرفة الحديث منه، فإنه ربما قال لأحمد: هذا الحديث قوي محفوظ؟ فإذا قال أحمد: نعم، جعله أصلاً، وبنى عليه.

وقال أبو بكر الأثرم: كنا في مجلس البويطي، فقرأ علينا عن الشافعي أن التيمم ضربتان، فقلت له: ورويت حديث عمار بن ياسر عن النبي ﷺ «أن التيمم ضربة واحدة» فحكَّ من كتابه ضربتين، وصيَّره ضربة واحدة على حديث عمار. ثم قال: قال الشافعي: إذا رأيتم عن رسول الله الثبت فاضربوا على قولي، وارجعوا إلى الحديث، وخذوا به فإنه قولي.

فإن قيل: إن أبا حنيفة قد لقي الصحابة فالجواب من وجوه:

أحدها: أن الدارقطني قال: لم يلق أبو حنيفة أحداً من الصحابة وقال الخطيب: رأى أنس بن مالك.

والثاني: أنه إذا لقي أحداً من الصحابة فهو كغيره، مثل سعيد بن المسيِّب وغيره، ولم يقدموهم عليه.

فإن قيل: إن مالكاً لقي التابعين! بطل بالتابعين الذين لقيهم بأنهم قد لقوا الصحابة، وهو مقدم عليهم عندهم.

فإن قيل: إنه عالم دار الهجرة! فمُسَلَّم، إلا أن أحمد ضَمَّ علمه إلى علم غيره.

فإن قيل: إن الشافعي له نسب يلاصق نسب النبي ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: «قدموا قريشاً ولا تَقَدَّموها، وتعلموا من قريش ولا تعالموها».

فالجواب: أن النسب لا يوجب تقديم أحد في العلم على غيره، فإن أكثر علماء التَّابعين من الموالي: كالحسن، وابن سيرين، وعطاء، وطاووس، وعكرمة، وغيرهم، وتقدموا على كثير من أهل الشرف بالنسب، لأن تقدُّمهم كان بكثرة العلم لا بقرب النسب، وقد أخذ الناس بقول ابن مسعود وزيد ما لم يأخذوا بقول ابن عباس. وأما

قوله: «قدموا قريشاً» فسئل أحمد عن ذلك؟ فقال: يعني في الخلافة.

وقوله «ولا تعالموها» فمحمول على النبي ﷺ.

فإن قيل: إن الشافعي كان فصيحاً! فمُسَلَّم، ولكن ذلك لا يوجب التقدم على غيره، لأن التقدُّم بكثرة العلم؛ على أنَّه قد أخذ عليه كلمات فقال: (ماء مالح) وإنما هو: ملح، وقال: (لا تعولوا: يكثر عيالكم) ومعناه عند اللغويين: لا تميلوا. وقال: (إذا أشلا كلباً، يريد أغراه) والإشلاء عند العرب الاستدعاء. وقال: (ثوب يسوى كذا) والعرب تقول: يساوي.

وقال المرُّوذي: كان أحمد لا يلحن في الكلام.

فإن قيل: روى أحمد عن الشافعي. قلنا: لأنه كان أكبر سناً منه، وقد روى الشافعي عن أحمد أيضاً كما سبق بيانه. قال البويطي: قال الشافعي: كل شيء في كتبي: «وقال بعض أهل العلم» فهو أحمد بن حنبل. وقد روى الشافعي عن مالك وهو مقدم عندهم عليه.

أما فضل أصحابه وأتباعه:

فقال عبد الوهاب الورَّاق: إذا تكلم الرجل في أصحاب أحمد فإن له خبيئة. ليس بصاحب سُنَّة.

وقال الأثرم: ربَّما يترك أصحاب أحمد الشيء ليس له تبعة عند الله مخافة أن يعيَّروا بأحمد بن حنبل.

وقال أبو الفضل: ذكر عند المتوكل بعد موت أحمد أن أصحاب أحمد يكون بينهم وبين أهل البدع الشر، فقال المتوكِّل لصاحب الخبر: لا ترفع إليَّ من أخبارهم شيئاً، وشدَّ على أيديهم، فإنهم وصاحبهم من سادة أمة محمَّد، وقد عرف الله لأحمد صبره وبلاءه، ورفع قدره، وارتفع علمه في أيام حياته وبعد موته، أصحابُه أجل الأصحاب، وأنا أظن أنَّ الله يعطي أحمد ثواب الصِّدِّيقين.

وقال ابن عقيل: هذا المذهب إنَّما ظلمه أصحابه، لأن أصحاب أبي حنيفة

والشافعي إذا برع أحد منهم في العلم تولى القضاء وغيره من الولايات، فكانت الولاية سبباً لتدريسه واستعماله بالعلم، أما أصحاب أحمد: فإنه قلَّ فيهم مَنْ يعلمُ بطرف من العلم إلا أخرجه ذلك إلى التعبُّد والتزهُّد، لغلبة الخير على القوم، فينقطعون عن التشاغل بالعلم. والله أعلم.

obeikandl.com

(ذكر أصحاب أحمد، وأتباعه، من زمانه إلى آخر القرن الثالث عشر)

أما من صحب أحمد وتبع مذهبه من العلماء فهم كثيرون لا يحصون، لكنني جمعت ما أمكنني جمعه، والله الموفِّق.

وسأقدِّم الطبقة الأولى، وهم الذين صحبوا أحمد، ونقلوا عنه، ولم أقتصر على من انتحل هذا المذهب في هذه الطبقة، بل أذكر كلَّ من روى عن أحمد، وأبيّن في آخر كل ترجمة منهم من علمتُ أنه على مذهبه، ليتميزوا عن غيرهم، ورتَّبْتُهم على حروف المعجم تابعاً في ذلك النابلسي في ترتيبهم في كتابه «مختصر طبقات ابن أبي يعلى» ثم أتبعهم بالحنابلة الذين لم يروا أحمد، ولم ينقلوا عنه، ورتَّبتُ هؤلاء على الوَفَيَات، فلم أتبع النَّابلسي فيما بعد الطبقة الأولى كما ستراه في كتابنا هذا، والله المستعان.